الباب الثاني

القدس من الفتح الإسلامي إلى نهاية الخلافة الراشدة

الفصل الأول

المبحث الأول

القدس في حقبة النبوة

المطلب الأول: القدس من المنظور الإسلامي

الرباط القدسي بين بلاد الحجاز التي تحوي الكعبة المشرفة، وديار فلسطين التي تحوي بيت المقدس، أزلي منذ أن خلق الله الأرض وما عليها:

أولا: توأمة الخلق بين مكة المكرمة وبيت المقدس، وقد وردت هذه التوأمة في حديث أبي ذر الغفاري المشهور.

ثانيا: إن رسالة الإسلام هي وريثة الرسالات السماوية التوحيدية قاطبة، مصداقا لقوله تعالى ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِىٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[2].

ثالثا: التأكيد على ارتباط بيت المقدس بمكة المكرمة، منذ عهد إبراهيم الخليل (عليه السلام) حيث أخذ بأمر الله ولده إسماعيل وزوجه هاجر (عليهم السلام) من بلاد فلسطين، إلى الكعبة المشرّفة، قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[3].

إن الرسالة الإسلامية هي الوريث الشرعي لدعوة إبراهيم الخليل (عليه السلام)، ولا أدل على ذلك أن العرب حتى في أيام جاهليتهم وقبل أن يشرق الإسلام، كانوا يؤدون مناسك الحج على طريقتهم الجاهلية، وإتباعا لملة إبراهيم الخليل في مكة المكرمة.

---

(1) القرآن الكريم،الشورى، آية رقم 13.

(2) القرآن الكريم، آل عمران، آية رقم 33و34.

(3) القرآن الكريم، سورة البقرة آية رقم 127.

إذن العرب هم الورثة الحقيقيون لإبراهيم الخليل (عليه السلام)، تعززت الروابط بين هذه الأمصار منذ أزمنة موغلة في القدم، حتى أن عرب الحجاز كان لهم بهذه الديار صلات كبيرة جداً قبل الإسلام، فكانوا يأتون في رحلة الشتاء والصيف، قوله تعالى (لإيلاف قريش، إلا فهم رحلة الشتاء والصيف، فليعبدوا رب هذا البيت،الذي أطعمهم من جوع وأمنهم من خوف)(1) فكانت العلاقات التجارية بين هذه الديار ظاهرة اقتصادية، حتى أن هاشم جد الرسول الأكرم (عليه السلام) قد توفاه الله (سبحانه وتعالى) في إحدى رحلاته إلى هذه الديار، ودفن في غزه0 والتي ما زالت تسمى باسمه حتى وقتنا الحاضر أي (غزة هاشم) تيمناً بهاشم جد الرسول الكريم.

لقد خلّد الأدب العربي من الشعر في العصر الجاهلي القدس، وردد العديد من شعراء العصر الجاهلي أشعارهم، وذكرهم لبيت المقدس قبل مجيء الإسلام،ومن هؤلاء الشعراء أعشى قيس حيث قال في قصيدة له:

وقد طفت للمال آفاقه عمان فحمص فأوريشلم [2]

فلما بزغت الدعوة الإسلامية، وأخذت تتوجه صوب هذه البلاد، كانت الفرصة الأولى للمسلمين عندما انتصر الروم على الفرس ففرح المسلمون بهذا النصر لأنهم أصحاب كتاب كالمسلمين قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤﴾ [3]

المطلب الثاني: القدس في العهد النبوي

في السنة السادسة للهجرة وفق 628م، أوفد رسول الله (ﷺ) إلى هرقل الروم في بلاد الشام، وإلى كسرى ملك الفرس، والنجاشي ملك الحبشة، وغيرهم وفوده يدعوهم إلى الإسلام.

كان هرقل الروم قد خرج من حمص في طريقه حاجاً إلى القدس، ليقدم شكره لله على نصره إياه على الفرس، واسترداده الصليب منهم. انتهى قيصر إلى إيليا، وقضى صلاته، ونذره، وقدم عليه دحية بن خليفة الكلبي وأسلمه كتاب النبي(ﷺ)، وهذا نصه (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد، أسلم تسلم، واسلم يؤتك الله أجرك مرتين،

---

(1) القرآن الكريم، سورة قريش آية رقم 4.

(2) الأعشى، ميمون بن قيس، ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق الدكتور محمد محمد حسين، بيروت، المكتب الشرقي للنشر والتوزيع، 1968م ص 77.

(3) القرآن الكريم، سورة الروم، آية رقم 1و2و3و4.

وإن تتول فإن إثم الأكارين عليك – يعني تحماله)، تلي الخطاب على هرقل وترجم له، فلم يغضب، ورد على الرسالة رداً حسناً وبعد استلام الرسالة نادى صاحب شرطته، وأمره أن يبحث له في سوريا عن حجازي من قوم محمد، فوجد أبا سفيان بن حرب ونفراً من تجار قريش في غزه أتوا للتجارة، فأخذهم وأرسلهم إلى الإمبراطور في القدس، ودعا هرقل ترجمانه وتجار قريش إلى مجلسه، وكان غاصا بزعماء القوم، سأل الإمبراطور القادمين، أيكم أقرب نسباً إلى هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي، قال أبو سفيان: أنا أقربهم نسباً: فقال: أدنوه مني، وقربوا أصحابه، واجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل هذا عن محمد، فإن كذبني فكذبوه. إلا أن أبا سفيان كان صريحاً صادقاً في أجوبته. "فقال: محمد فينا ذو نسب لم يقل أحد قبله بما قاله، لم يكن بين آبائه ملك، يتبعه ضعفاء الناس، وما زالوا يزيدون، لم يرتد أحد من تابعيه، لا يغدر ولا يكذب، الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه.

كان السؤال الأخير: بماذا يأمركم محمد؟ أجاب أبو سفيان، يقول محمد: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة.

إن وصول كتاب النبي (ﷺ) إلى هرقل بالقدس، كان في الوقت الذي جاء هرقل يحتفل بالنصر في سنة 628 م، وهو يوافق تماما أواخر السنة السابعة من الهجرة (لأن الهجرة النبوية كانت في 23 أيلول سنة 622 م واحتفال هرقل بالنصر كان في 14 أيلول سنة 628 م وهو يصادف أواخر السنة السادسة للهجرة أو أوائل السنة السابعة.

فهل كان وصول كتاب النبي (ﷺ) إلى هرقل في الزمان والمكان مصادفة، أم كان مؤقتا بتقدير من الله تعالى؟

لعلّ من حكمة اختيار الزمان والمكان، أن ينبه هرقل إلى ما وقر في قلبه، أن ما ناله من النصر، لم يكن بقوته، وإنما كان بتدبير من الله، فعليه أن يؤمن بما أخبر الله على لسان عيسى بن مريم (عليه السلام)، أنه سيكون نبي يدعو إلى التوحيد، وهو مسطور عند العارفين من أهل الكتاب ويتوقعون مجيئه0 من حكمة اختيار المكان (القدس) إشارة إلى أن القدس سيكون أحد معاقل التوحيد، وأنه لا بد أن يكون بأيدي المسلمين، أصحاب الدين السماوي الذي اشتمل على الأديان السماوية السابقة كلها

هذا دليل واضح على توجه النبي محمد (ﷺ) برسالة الإسلام صوب بلاد الشام، ودعوة هرقل الروم الذي كان موجوداً في القدس إلى الإسلام، مما يدل دلالة واضحة على أن هذه الدعوة الإيمانية كانت تأرز صوب القدس، على الرغم من المفارقات الكبيرة في هذه الفترة بين القدرات المادية وبين الدعوة الإسلامية الناشئة، والإمبراطورية الرومانية المترامية الأطراف، ولكن بصيرة هذا الرسول لم تتوان ولو للحظة واحدة في سبيل الدعوة الإسلامية، مهما كانت قدرة من يدعوهم إليها.

وهناك أمر آخر في هذا الشأن يجب علينا ألا نغفله، بل يجب أن نبرزه لمن أراد أن يستزيد، ففي سفر التكوين، الإصحاح السابع عشر، أن الختان هو علامة من يرثون الأرض وهذا يذكرنا بالحديث الشريف في صحيح البخاري، حديث هرقل الذي قال فيه (إنني رأيت في المنام أن ملك الختان قد ظهر- والنصارى لا يختنون – قيل له لا يختن إلا اليهود، فإن شئت تأمر فنقضي على كل من في مملكتك من اليهود، فلما جاءوا له بأبي سفيان، أيقن بالتأويل الصحيح للرؤيا، بعدما سأله الأسئلة العجيبة في دلائل النبوة، وشهد قيصر (هرقل) بأن النبي (ﷺ) هو الموعود بذلك.[)]

إذن هاتان نقطتان هامتان في هذا الفصل من حياة هذا الإمبراطور، الذي كان يملك القدس آنذاك، وكيف أنه استدل بفطنته على أن هذا النبي محمد(ﷺ) هو النبي المنتظر، وأن وجهته ستكون القدس الشريف، وهذا من دلائل النبوة،ورسوخ العقيدة الإسلامية، وحسن توجهها صوب بيت المقدس.

وعن البراء: أن النبي (ﷺ) صلى إلى بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته البيت، فإنه (ﷺ) أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم. فخرج رجل ممن صلوا معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون، فقال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي (ﷺ) قبل مكة، فداروا كلهم وجوههم قبل البيت. كانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس، ولما ولّى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك.

وقال البراء في حديثه هذا: أنه مات على القبلة قبل أن تحوّل رجال، وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله عز وجل (وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم)

كان تحويل القبلة يوم الثلاثاء منتصف شهر شعبان، وقيل في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين من السنة الثانية من الهجرة الشريفة، فنستدل بذلك على أن بيت المقدس كانت القبلة الأولى للمسلمين في عهد النبي الكريم (عليه السلام)، إلى أن تم تحويلها إلى الكعبة المشرفة.

المطلب الثالث: القدس القبلة الأولى للمسلمين

منذ أن أُسري بالنبي الكريم (ﷺ) وعرج به إلى السماوات، وفرضت الصلاة في تلك الليلة، والمسلمون يتوجهون صوب بيت المقدس، ومكثوا على هذا الحال والرسول الكريم (ﷺ) يتوجه بهم صوب القدس، واضعا الكعبة المشرفة أمامه، ومكث على هذا الحال إلى أن أمره الله (سبحانه وتعالى) بتحويل القبلة إلى الكعبة المشرفة في مكة المكرمة، فكان تحويل القبلة من صخرة بيت المقدس الشريف

إلى المسجد الحرام بأمر إلهي،قال تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾[1]

وعن ابن عباس رضي الله عنهم قال: إن أول ما نسخ من القرآن القبلة، وذلك أن محمداً (ﷺ) وأصحابه كانوا يصلون بمكة إلى الكعبة، فلما هاجر إلى المدينة أمر الله نبيه (ﷺ) أن يصلي نحو صخرة بيت المقدس، ليكون أقرب إلى تصديق اليهود إياه إذا صلى إلى قبلتهم، مع ما يجدون من نعته في التوراة، فصلى بعد الهجرة الشريفة ستة عشر، أو سبعة عشر شهراً إلى بيت المقدس، وكان يحب أن يتوجه إلى الكعبة، لأنها كانت قبلة أبيه إبراهيم (عليه السلام) فأنزل الله عليه الآية وأمره باستقبال الكعبة.

لما تحولت القبلة كان النبي (ﷺ) في مسجد القبلتين في بني سلمه، وكان يصلي فيه الظهر إلى بيت المقدس، وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر، فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحوّل الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال، فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين – هذا الرأي – قد أخذ به (مجير الدين الحنبلي) في كتابه "الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل"، بينما هناك رأي آخر بالنسبة لذات المسجد، فقد كان معروفا لدى الجميع هذا المسجد المذكور ألا وهو مسجد بني سلمه بذي القبلتين، وكان له باب باتجاه بيت المقدس، مكتوب عليه بعدة لغات، أن هذا هو مسجد ذي القبلتين، بيد أنه في العام 1422هـ ولدى زيارتي إلى هذا المسجد في موسم الحج وجدت أن الحال قد تغير، فتبين لي بأن هذا هو مسجد بني سلمه، ولدى سؤالي المعنيين في هذا المسجد، أفادوا بأن حادثة تغيير القبلة قد كانت في المسجد النبوي (والله تعالى أعلم).

وعن البراء: أن النبي (ﷺ) صلى إلى بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته البيت، فإنه (ﷺ) أول صلاة صلاها صلاة العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن صلوا معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون، فقال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي (ﷺ) قبل مكة، فداروا كلهم وجوههم قبل البيت، كانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس، ولما ولّى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك.

وقال البراء في حديثه هذا: أنه مات على القبلة قبل أن تحوّل رجال، وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله عز وجل ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2]

كان تحُّول القبلة يوم الثلاثاء منتصف شهر شعبان، وقيل في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين من السنة الثانية من الهجرة الشريفة.[1]

---

(1) القرآن الكريم، سورة البقرة،آية رقم 144.

(2) القرآن الكريم، سورة البقرة آية 143.

نستدل بذلك على أن بيت المقدس كانت القبلة الأولى للمسلمين، في عهد النبي الكريم (عليه السلام) إلى أن تم تحويلها إلى الكعبة المشرفة

المطلب الرابع: الرسول الكريم (ﷺ) يبشر بفتح بيت المقدس

علاوة على ما ورد في القرآن الكريم، من ذكر لبيت المقدس وأهميتها في العقيدة ألإسلامية كما ورد سابقا، فإن هناك بشارات من الرسول الكريم (ﷺ) تدل على فتح بلاد الشام عامة، وبيت المقدس خاصة، وأن ملك المسلمين سيصل إليها كما هو مبين أدناه0

أولا: روى الإمام أحمد في مسنده عن عوف بن مالك الأشجعي قال: أتيت النبي (ﷺ)، فقال: عوف؟ فقلت: نعم. فقال: أعدد يا عوف ستاً بين يدي الساعة: أولهن موتي، قال: فاستبكيت حتى جعل رسول الله (ﷺ) يسكتني، قال: قلت إحدى. والثانية: فتح بيت المقدس[2]

ثانيا: وروى الطبراني عن شداد بن أوس أنه كان عند رسول الله (ﷺ) وهو يجود بنفسه، فقال: مالك يا شداد؟ قال: ضاقت بي الدنيا. فقال: ليس عليك، إن الشام ستفتح، وبيت المقدس سيفتح، وتكون أنت وولدك من بعدك أئمة فيهم إن شاء الله تعالى (الإصابة – ترجمة شداد بن أوس) وقد دفن شداد بن أوس بفلسطين.وقال ابن حبان: دفن ببيت المقدس سنة 58 هـ)[3]

ثالثا: وقد حرم الله على الروم أن يملكوا بلاد الشام برمتها إلى آخر الدهر، كما ثبت به الحديث في الصحيحين عن أبي هريرة قال، قال رسول الله (ﷺ): "إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وإن هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله عز وجل".

---

(1) الحنبلي، الأنس الجليل، سبق ذكره، ج1، ص 194.

(2) رواه البخاري،/ ك 58/ باب 15 قال عوف، أتيت النبي ( ) في غزوة تبوك، وهو في قبة من أدم ن، فقال .أعدد ستا بين يدي يالساعة، موتي، ثم فتح بيت المقدس، والسادسة، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، (الروم)، فيغدرون ن فيأتوكم تحت ثمانين غاية اثنا عشر ألفا ولربما تكون العلامة السادسة هي الحملات الفرنجية) التي بدأت ولم تنته بعد.

(3) شراب، بيت المقدس، سبق ذكره ص 82.

المطلب الخامس: سرايا وغزوات الرسول الكريم (ﷺ) صوب الشام هي الطريق إلى القدس

توجهت أنظار المسلمين صوب القدس، منذ الوهلة الأولى لبزوغ الدعوة الإسلامية، والمسلمون الأولون في مكة المكرمة قبل الهجرة النبوية الشريفة، وقد تجلى هذا التوجه إبّان حادثة الإسراء والمعراج، حيث أسري بنبيه الكريم وهو في مكة المكرمة إلى بيت المقدس، وصلى بالأنبياء إماماً وعرج إلى السماوات العلا، ولقد رأى من آيات ربه ما رأى، حيث أكرمه الله بفضيلة الصلاة التي فرضت من تلك الليلة على المسلمين، وأخذ يتوجه صوب بيت المقدس، وبقي على هذا الشأن إلى ما بعد الهجرة النبوية، وهو في المدينة المنورة إلى أن أمره الله باتخاذ الكعبة قبلة له.

في السنة الخامسة للهجرة النبوية الشريفة، أخذ (عليه السلام) يشق طريقه صوب بيت المقدس بالسرايا والغزوات، علّه يرّوض أصحابه لفتح هذه الديار، ولتصل إليها الدعوة الإسلامية.

فكانت غزوة دومة الجندل، كانت هذه الغزوة في السنة الخامسة للهجرة بقيادته، حيث كان أكيدر بن عبد الملك تابعا لهرقل الروم، علماً بأن هذه الموقعة تقع في أقصى شمال الجزيرة العربية وتبعد 450 كم شمال تيما.

في السنة السادسة للهجرة – ندب رسول الله (ﷺ) عبد الرحمن بن عوف في سرية إلى دومة الجندل.

في السنة السابعة – غزوة خيبر، وكان اليهود يسكنون هذه المدينة، ويهددون طريق المسلمين المتجهين صوب بيت المقدس، فانتصر عليهم وفتح مع خيبر فدك ووادي القرى (العلا).

في السنة الثامنة – سرية ذات أطلاح – انتدب رسول الله (ﷺ) كعب بن عمير الغفاري إلى هذه الموقعة، التي تقع في ديار فلسطين. وفي نفس السنة كانت غزوة – ذا ت السلاسل – بقيادة عمرو بن العاص وهي في أقصى شمال الحجاز. كما كان في نفس السنة سرية زيد بن حارثه إلى جذام بحسمي وراء وادي القرى (العلا) باتجاه فلسطين.كما أنه حدثت في نفس السنة سرية مؤته الشهيرة. وفي السنة التاسعة للهجرة كانت غزوة تبوك.

في السنة الحادية عشرة كانت سرية أسامة بن زيد، حيث أمره الرسول الكريم أن يوطيء الخيل تخوم البلقاء والداروم (دير البلح)، وأن يبلغ يبنى وأسدود من ارض فلسطين، وقيل أنه أمره أن يصل إلى أبل الزيت بالأردن من مشارف الشام وقد توقف الجيش بالجرف، لوفاة الرسول الكريم (ﷺ) وتم إنقاذ السرايا في عهد أبي بكر الصديق.

"قال محمد كرد علي، في خطط الشام 1/ 76 (فهذه الغزوات والسرايا كلها مقدمات لفتح قطر الشام، وأمر قطعي من صاحب الرسالة إلى أصحابه، بأن يكملوا العمل الذي وضع أساسه بنفسه الشريفة.

وروى الإمام أحمد بإسناد صحيح (4/ 404) عن سلمه بن نفيل الحضرمي قال: فتح الله على رسول الله فتحاً، فأتيته فدنوت منه، فقلت: يا رسول الله: سئمت الخيل، وعطلوا السلاح، ووضعت الحرب أوزارها، فقال رسول الله (ﷺ) كذبوا، الآن جاء القتال، الآن جاء القتال، لا يزال الله يزيغ قلوب أقوام تقاتلونهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك" وعقر دار الإسلام الشام" وعقر الدار: أصلها وقيل وسطها. وإذا كان الشام عقر دار الإسلام فإن القدس عقر العقر، لأنه مركز البركة التي أخبر الله عنها في سورة الإسراء[1]

كانت هذه الغزوات والسرايا في عهد رسول الله (ﷺ) البوصلة إلى بيت المقدس، ولم تتوجه إلى ديار أخرى في تلك الفترة،لان هذا توطئة وتهيئة إلى المسلمين ليتوجهوا صوب هذه الديار.

(1) نفس المصدر، ص، 77 .

المبحث الثاني

فضائل بيت المقدس وما ورد فيه من آيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة

المطلب الأول: الآيات القرآنية

ورد العديد من الآيات القرآنية الكريمة، في قداسة وطهارة وكرامة هذه الديار عامة، وفي بيت المقدس خاصة، وإن دل هذا على شيء، فإنما يدل على أهميتها وقدسيتها وبركتها عند الله (سبحانه وتعالى) مما ميزها عن غيرها من بقاع الأرض الأخرى. وقد تجلت آية الإسراء في إبراز قداسة وبركة بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1]

مع ما في هذه الآية الكريمة من معاني عميقة، وكرامات باهرة، خاصة ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس، من ديار فلسطين، فلو لم يكن له من الفضيلة غير هذه الآية لكانت كافية له، لأنه إذا بورك حوله فالبركة فيه مضاعفة.

ربطت هذه الآية نوحاً (عليه السلام) ببني إسرائيل، وبقصة إفسادهم وسلوكهم، في هذا الوجود، حيث أن الله(سبحانه وتعالى) يعلم مسلكهم وتصرفاتهم وأخلاقياتهم، وهو أدرى بهم، وكيف أنه وصمهم بالإفساد والعتو، وكأن مجريات الأحداث أخذت تتحقق على أرض الواقع، وهو ما نشاهده من عتوهم وعلوهم في هذه الأيام.

- قال تعالى: ﴿ يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴾[2]

أي أن سيدنا موسى(عليه السلام) عندما كان في صحراء التيه لم يتمكن من كان معه من المجازفة ودخول هذه الديار المقدسة، لضعفهم وخورهم، وكان في هذه الديار أهلها من الكنعانيين الجبارين، فلم يجرؤ بنو إسرائيل على المجازفة، وهو بين ظهرانيهم، فالقداسة والطهارة، صفتان خاصتان بهذه الديار منذ الأزمنة الغابرة، وسمي بيت المقدس مقدسا لأنه يتطهر فيه من الذنوب.

قال ابن عباس: بيت المقدس عليه الطل والمطر منذ خلق الله السنين والأيام.

---

(1) القرآن الكريم، سورة الإسراء آية رقم 1.

(2) القرآن الكريم، سورة المائدة آية 21.

- قال تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾[1] قال: هي الأرض المقدسة بارك الله فيها للعالمين، وأن الله سبحانه وتعالى قد نجى سيدنا إبراهيم الخليل ولوطا (عليهما السلام) من أذى النمرود، ومن بلاد أور إلى هذه الديار المقدسة، ألا وهي بلاد فلسطين التي تحوي بيت المقدس،فالبركة متأصلة فيها منذ أزمنة غابرة حتى في عهدي إبراهيم ولوطا (عليهم السلام).
- قال تعالى: ﴿ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾[2] قيل في أحد الأقوال أن المقصود بالأرض – هي أرض فلسطين – وأن الأمة الصالحة التي ترث هذه الأرض هي أمة الإسلام.
- قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾[3] المقصود بالربوة هي مرتفع بيت المقدس، فقال ابن عباس: هي بيت المقدس، وهو قول قتاده وكعب، وقال كعب: هي أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلا، يعني أن الربوة المكان المرتفع من الأرض.
- قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾[4] المنادي: هو إسرافيل (عليه السلام) ينادي من صخرة بيت المقدس بالحشر، وهي وسط الأرض، روي أن المكان القريب هو صخرة بيت المقدس.
- قال تعالى: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾[5] المقصود بهذه الآية هو بيت المقدس.
- قال تعالى: ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾[6]

يعني بين المؤمنين والمنافقين وهو حائط بين الجنة والنار، له – أي لذلك السور، باب فيه الرحمة وهي الجنة، وظاهره: أي خارج ذلك السور – من قبله – أي من قبل ذلك الظاهر العذاب.

عن أبي العوام، قال: سمعت عبد الله بن عمر يقول: إن السور الذي ذكره الله في القرآن بقوله (فضرب بينهم بسور له باب[7] هو سور بيت المقدس الشرقي، باطنه فيه الرحمة المسجد، وظاهره من قبله العذاب وادي جهنم[8]

---

(1) القرآن الكريم، سورة الأنبياء آية رقم 71.

(2) القرآن الكريم، سورة الأنبياء آية رقم 105.

(3)- القرآن الكريم، سورة المؤمنون آية رقم 50.

(4) القرآن الكريم، سورة ق، آية رقم 41 .

(5) القرآن الكريم، سورة النور آية رقم 36.

(6) القرآن الكريم، سورة الحديد، آية رقم 13.

(7) القرآن الكريم، سورة الحديد آية، رقم13 .

(8) الحنبلي، سبق ذكره، ص، 227.

ومن أصدق من الله قيلا، فهذه الآيات القرآنية الكريمة، تدل بوضوح على مكانة بيت المقدس، ورسوخ ذكرها في القرآن الكريم، وهذه ميزة تميزت بها عن غيرها من بقاع الأرض، التي لم تذكر بمثل هذه الصفات بعد مكة المكرمة، وهذه كرامة أسبغها الله عليها ما بعدها من كرامة.

المطلب الثاني: الأحاديث النبوية الشريفة

والأحاديث النبوية الشريفة التي تدل على مكانة هذا المسجد، الذي هو في قلب مدينة بيت المقدس كثيرة، ومن أبرز هذه الأحاديث ما يلي:

أولا: الإسراء بالنبي محمد (ﷺ) إلى بيت المقدس.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: قال رسول الله (ﷺ) لما كان ليلة أسري بي وأصبحت بمكة فظعت بأمري، وعرفت أن الناس مكذبي، قال: فقعد رسول الله (ﷺ) معتزلا حزينا، فمر به أبو جهل، فجاء حتى جلس إليه، فقال له كالمستهزئ، هل كان من شيء؟ قال: نعم. قال: وما هو؟ قال: إني أسري بي الليلة، قال: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس، قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا، قال: نعم: قال: فلم يرد أنه يكذبه مخافة أن يجحد.

الحديث – إن دعا قومه وقال له، أتحدث قومك ما حدثتني إن دعوتهم إليك، قال: نعم. قال: هيا يا معشر بني كعب، قال: قال فانقضت المجالس، فجاءوا حتى جلسوا إليهما، فقال: حدّث قومك ما حدّثتني، قال رسول الله (ﷺ) (إني أسري بي الليلة، قالوا: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس، قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا ! قال: نعم. قال: فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على رأسه مستضحكا لما زعم، فقالوا: أتستطيع أن تنعت لنا المسجد؟ قال: رسول الله (ﷺ) فذهبت أنعت لهم، فمازلت أنعت وأنعت حتى التبس عليّ النعت، قال: فجيء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وضع دون دار عقيل أو دار عقال، قال: فنعته وأنا أنظر إليه، فقال القوم: أما النعت فقد والله أصاب. رواه الإمام أحمد.

هذه إحدى المعجزات التي وردت عن النبي محمد (ﷺ) ألا وهي معجزة حادثة الإسراء والمعراج، وما كان في هذه الحادثة من مفارقات عظيمة تجلت للرسول الكريم، وقد وقف الناس في هذه المعجزة على مفارقة كبرى فمن مصدق، ومن منكر لها، وكان أشد المنكرين لها ألا هم أولئك المنكرون أصلا إلى دعوة التوحيد، فما أن يصدقون هذه الحادثة أو يؤمنون بما جاء فيها.

الأمر الهام في هذه الرواية أيضا، ألا وهو أن أبي جهل وهو رأس الكفر، ومنكر الدعوة ومن معه من عتاة قريش، كان استفسارهم من النبي محمد (ﷺ) وسؤالهم له محدداً عن وصفه لهم المسجد، وهذا مما يثبت أن بيت المقدس ديار إسلامية قبل أن يدخلها الإسلام، وأن أبرز معلم فيها ألا وهو المسجد الذي أصبح فيما بعد مسجداً للمسلمين، ألا وهو المسجد الأقصى المبارك، وهذا ما ورد ذكره

صراحة في آية الإسراء، حيث أن هذا الاستدلال من أبرز معالم الدعوة الإسلامية، ومصداقية صاحب الرسالة السماوية محمد بن عبد الله.

ثانيا: شد الرحال

- قال (ﷺ) (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا) حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم.
- قال (ﷺ) لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد، إلى المسجد الحرام أو مسجدي هذا، أو إلى مسجد إيليا أو بيت المقدس) رواه الترمذي والنسائي.[1]

ثالثا: أي مسجد وضع في الأرض أولا

- عن أبي ذر الغفاري قال: قلت يا رسول الله: أي مسجد وضع في الأرض أولا؟ قال: المسجد الحرام، فقلت يا رسول الله، ثم أي؟ قال: ثم المسجد الأقصى، قلت، كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة، ثم حيث أدركتك الصلاة فصلي، فهو لك مسجد) رواه البخاري ومسلم.
- عن عائشة زوج النبي (ﷺ) أن النبي (ﷺ) قال: إنّ مكة بلد عظّمه الله وعظم رحمته، خلق مكة وحفّها بالملائكة قبل أن يخلق شيئا من الأرض يومئذ كلها بألف عام، ووصل المدينة ببيت المقدس، ثمّ خلق الأرض كلها بعد ألف عام خلقاً واحداً – والصواب ووصلها بالمدينة: ووصل المدينة ببيت المقدس.[2]

رابعا: فضل الصلاة ببيت المقدس

- عن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: إن سليمان سأل الله ثلاثا، فأعطاه اثنتين وأرجو أن يكون الله أعطاه الثالثة، سأله بأن يحكم بحكم يوطئ حكمه فأعطي، وسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه، وسأله أيما عبد أتى بيت المقدس لا يريد إلا الصلاة فيه أن يكون من خطيئته كيوم ولدته أمه" رواه ابن ماجه والنسائي
- قالت ميمونة بنت الحارث: يا رسول الله أفتنا في بيت المقدس: قال: ارض المحشر والمنشر، أيتوه فصلوا فيه، فإن صلاة فيه كألف صلاة فيما سواه، قالت: يا رسول الله: أرأيت من لم يطق محملا إليه، قال: فليهد له زيتا يسرج فيه، فمن أهدى إليه شيئا كان كمن صلى فيه.[3]

---

(1) حديث شريف رواه الترمذي والنسائي (ورد في في كتاب، فضائل بيت المقدس) إلى محمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي، ط1، سوريا دار الفكر، ج1، ص 410.

(2) المصدر نفسه، ج1 ص، 48.

(3) المصدر نفسه ج1 ص، 50.

خامسا: فضل الصلاة إلى بيت المقدس

- عن البراء بن عازب قال: صليت مع رسول الله (ﷺ) نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً. رواه البخاري ومسلم.
- عن ابن عباس قال: صلى رسول الله (ﷺ) وأصحابه إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً ثم صرفت القبلة بعد.
- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ) لما أسري بي إلى بيت المقدس مرّ جبريل إلى قبر إبراهيم (عليه السلام) فقال: أنزل صلي هاهنا ركعتين، فإن هنا قبر أبيك إبراهيم (عليه السلام) ثم مّر بي ببيت لحم فقال: أنزل فصلي هاهنا ركعتين، فإن هنا ولد أخوك عيسى (عليه السلام) ثم أتى بي الصخرة فقال: من هنا عرج ربك إلى السماء، فألهمني الله أن قلت نحن بموضع عرج منه ربي إلى السماء فصليت بالنبيين ثم عرج بي إلى السماء[1]

سادسا: الدجال لا يدخل بيت المقدس

- عن عبد الله بن مسعود قال: يدخل الدجال الأرض كلها إلا أربعة مساجد وأربع قرى، مكة، والمدينة، وبيت المقدس، وطور سيناء، وروى نحوه عن عبد الله بن عمرو بن العاص.
- وروى ثور عن خالد بن صفوان قال: عصمة المؤمنين من المسيخ الدجال ببيت المقدس.
- عن ربيعة بن يزيد قال: قال رسول الله (ﷺ) لا تزالون تقاتلون الكفار حتى تقاتل بقيتكم جنود ببطن الأردن بينكم النهر أنتم غربيه وهم شرقيه، قال ربيعه: فقال المحدث من أصحاب رسول الله (ﷺ) فما سمعت بنهر الأردن إلا من رسول الله (ﷺ).[2]

سابعا: رباط المسلمين ببيت المقدس

- وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أمامه قال: قال رسول الله (ﷺ): لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لعدوهم قاهرين لا يضرهم من خالفهم ولا ما أصابهم من اللأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك، قالوا: وأين هم؟ قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس.
- عن شداد بن أوس أنه كان عند رسول الله (ﷺ) وهو يجود بنفسه فقال: مالك يا شداد، قال: ضاقت بي الدنيا، قال: ليس عليك، إن الشام يفتح ويفتح بيت المقدس، فتكون أنت وولدك أئمة فيه إن شاء الله. رواه الطبراني.

---

(1) المصدر نفسه ج1، ص، 58.

(2) الحنبلي، الأنس الجليل، ج1سبق ذكره ص، 234.

- عن عوف بن مالك قال: أتيت رسول الله (ﷺ) وهو في خيمة من أدم، فتوضأ وضوءاً مكيثاً، فقال: يا عوف أعدد ستا بين يدي الساعة، قلت وما هي يا رسول الله: قال: موتي، قال: فوجمت لها، قال: قل إحدى، والثانية فتح بيت المقدس، والثالثة موتان فيكم كقعاص الغنم والرابعة، إفاضة المال حتى يعطى الرجل مئة دينار فيظل يتسخطها، وفتنة لا يبقي بيت من العرب إلاّ دخلته، وهدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر ثم يغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية (راية) كل غاية (راية) اثنا عشر ألفا. رواه البخاري وأبو داود والسجستاني.
- عن معاذ قال: قال رسول الله (ﷺ) يا معاذ إن الله عز وجل سيفتح عليكم الشام من بعدي من العريش إلى الفرات رجالهم ونساؤهم وإماؤهم مرابطون إلى يوم القيامة، فمن اختار منكم ساحلا من سواحل الشام، أو بيت المقدس، فهو في جهاد إلى يوم القيامة.
- عن كعب الأحبار قال: قال الله تعالى لبيت المقدس، أنت جنتي وقدسي وصفوتي من بلادي من يسكنك فبرحمة مني، ومن خرج منك فبسخط مني عليه.

ثامنا: ذكر أن المهدي ينزل ببيت المقدس:

عن أبي سعيد ألخدري قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: يخرج رجل من أمتي يقول بسنتي ينزل الله له القطر من السماء، ويخرج له الأرض من بركتها تمتلئ الأرض منه قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يعمل على هذه الأمة سبع سنين وينزل بيت المقدس، قال الطبراني، روى هذا الحديث جماعة عن أبي الصديق، ولم يدخل أحد ممن رواه بينه وبين أبي سعيد الخدري أحد إلاّ أبو الواصل. رواه الترمذي وابن ماجه باختصار، رواه على الحق تكون ببيت المقدس، وأكتاف بيت المقدس.

تاسعا: مضاعفة الحسنات والسيئات في مسجد بيت المقدس

- عن الليث بن سعد عن نافع قال: قال لي ابن عمر،ونحن ببيت المقدس، يا نافع اخرج بنا من هذا البيت، فإن السيئات تضاعف فيه، كما تضاعف الحسنات، وأحرم وخرج من بيت المقدس، قال العلماء: معنى ذلك أن عقوبة من اقترف ذنبا في أحد المساجد الثلاثة، أعظم عقوبة من اقترفه في غيرها لشرف هذه المساجد وفضلها، والذنب الواحد في أحدها أعظم من ذنوب كثيرة في غيرها من المواضع، ولذلك تضاعف فيه السيئات ومعناه تغليظ عقوبتها، لا أن الإنسان يعمل ذنباً واحداً فيكتب عليه عشرة ذنوب، والله تعالى يقول في كتابه العزيز ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ رَبُّكَ﴾[1] فقد غلظت الدية على من قتل في الحرم، أوفي الإحرام، أو في الشهر الحرم، أو

(1) القرآن الكريم، سورة الأنعام، آية رقم 160.

قتل ذا رحم محرم، لحرمة هذه الأشياء وعظم محلها، فالتعدد في المعنى من حيث أنه انتهك حرمة بيوت الله وقد قال الله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [1] وقد ارتكب المعصية فيها فهذا معنى التضعيف[2].

عاشرا: الإهلال بالحج والعمرة من بيت المقدس

- عن أم سلمة زوج النبي (ﷺ)أنها سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: من أهلّ بحج أو عمرة من المسجد الأقصى الشريف إلى المسجد الحرام، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ووجبت له الجنة.

وقد أحرم منه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، ثم قال: لوددت إني ما جئت بيت المقدس. وأحرم منه ابنه عبد الله (رضي الله عنه) أيضا.

- حدثنا أبو معشر عن نافع بن عمر أنه أحرم عام الحكمين من بيت المقدس[3]

الحادي عشر: إسراج بيت المقدس عند العجز عن الوصول إليه

- روي عن ميمونه بنت سعد مولاة رسول الله(ﷺ) أنها قالت: يا رسول الله أفتنا في بيت المقدس، فقال: أرض المحشر والمنشر ائتوه فصلوا فيه فإن كل صلاة فيه كألف صلاة. قلنا: يا رسول الله فمن لم يستطع أن يصل إليه؟ قال: فمن لم يستطع أن يأتيه فليهد إليه زيتا يسرج في قناديله فإن من أهدى إليه زيتا كان كمن أتاه.
- قال (ﷺ) من أسرج في بيت المقدس سراجا لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام ضوءه في المسجد.

الثاني عشر: إقطاع تميم الداري الذي أقطعه له النبي (ﷺ).

من المعلوم أن تميم بن أوس الداري اللخمي كان من قبيلة لخم العربية المتجذّرة في أرض فلسطين، وهي ذات الأصول العربية العريقة في هذه البلاد، وفي أكناف بيت المقدس، وكان تميم بن أوس الداري رجلاً من أهل الكتاب، وقد استدل بعلمه أن النبي محمداً سيظهر في الجزيرة العربية، وقد

(1) القرآن الكريم، سورة النور آية رقم36و37و38.

(2) الحنبلي، الأنس الجليل،ج1 سبق ذكره، ص 230.

(3) المقدسي، فضائل بيت المقدس،ج1، سبق ذكره، ص 89.

أورد مجير الدين الحنبلي في كتابه "الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل" هذه الحادثة، فيقول (وقد حكى المؤرخون لفظ الإقطاع على وجوه مختلفة، وقد رأيت عند التكلم على الإقطاع المشار إليه قطعة الأديم، التي يقال أنها من خف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب "رضي الله عنه" وقد صارت رثة، وفيها بعض أثر الكتابة، ورأيت معها ورقة مكتوبة في الصندوق، الذي قطعة الأديم منسوب خط هذه الورقة إلى أمير المؤمنين المستنجد بالله العباسي (تغمده الله برحمته) كتب فيها نسخة الإقطاع وصورة ما كتبه المستنجد بخطه.

(الحمد لله هذه نسخة كتاب رسول الله (ﷺ) الذي كتبه لتميم بن اوس الداري وأخوته في سنة تسع من الهجرة بعد منصرفه من غزوة تبوك، في قطعة أديم من خف علي بن أبي طالب وبخطه نسخته كهيئته رضي الله تعالى عنه، وعن جميع الصحابة: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أنطاه[1] محمد رسول الله (ﷺ) لتميم الداري وأخوته حبرون والمرطوم وبيت عينون وبيت إبراهيم،وما فيهن نطية بت، بينهم ونفذت وسلمت ذلك لهم، ولأعقابهم، فمن آذاهم آذاه الله فمن آذاهم لعنه الله، شهد عتيق بن أبي قحافة، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وكتب علي بن أبي طالب وشهد. وقد نسخت ذلك من خط المستنجد بالله كهيئته، ولعل هذا أصح ما قيل فيه والله أعلم[2].

عوداً إلى كلمة خف، نستدل بأن هذه الكلمة (جف) وليست خف0 وكلمة جف تعني قطعة الأديم الجافة.

---

(1) بمعنى أعطى في لغة طي .

(2) روى قصة الإقطاع القلقشندي (أحمد بن علي المتوفى سنة 831هـ) في كتابه "صبح الأعشى" من المجلد 13/ 118-122ونقل الروايات السابقة، مضافة إليها رواية عن إبن منده، بسنده إلى (عمرو بن حزم).الصحابي الجليل المتوفي سنة 53هـ ويقول القلقشندي : وهذه الرقعة موجودة بأيدي التميميين خدام حرم الخليل (عليه السلام) إلى الآن – زمن المؤلف.وذكر قصة الإقطاع أيضا إبن حجر العسقلاني المتوفي سنة 852هـ في مواطن متعددة من "فتح الباري" و"الإصابة" ولكنه لم يذكر روايات نصوص الإقطاع،واكتفى بالإشارة إليها والإقرار بوجودها، وروايات الإقطاع نقلها ورواها عدد كبير من أهل التاريخ والسيرة والفقه والحديث حتى أصبحت في حكم الثابت وقوعها، وتداولتها كتب الدراسات الشرعية معتمدين على استنباط الحكم الشرعي في أحد جوانب الإقطاع.، كما نقل كتاب الإقطاع أبو يوسف القاضي، صاحب أبي حنيفة في كتابه (الخراج)،ونقله أبو عبيد القاسم بن سلام، وكان أحد أئمة الدنيا صاحب حديث وفقه ودين وورع ومعرفة بالأدب وأيام الناس جمع وصنف واختار وذب عن الحديث،. وروى حديث الإقطاع الطبراني بسند رجاله ثقات، كما جاء في مجمع الزوائد واستشهد به الماوردي والمقريزي وابن حجر وغيرهم.

نستدل من هذا الحديث "حديث الإنطاء" المشهور بين أهالي بلد سيدنا الخليل (عليه السلام) وما توارثه الخلف عن السلف من إقطاع، ما زال التميميون ينعمون فيه، منذ أزمان بعيدة، حتى وقتنا الحاضر، أن هذه البلاد أي: أرض فلسطين: بعامة، وبيت المقدس بخاصة، وأكتافها كانت تعيش فيها قبائل عربية ذات جذور عميقة وموغلة في القدم في هذه الديار، وكانت تدين بالنصرانية، وكان ممن فتح الله عليهم ممن عرفوا الكتب المقدسة، أن النبي محمداً (ﷺ) سيبزغ نوره في أرض الجزيرة، ولما علم تميم بهذا الخبر طار هو وأخوه نعيم في السنة التاسعة للهجرة، أي في غزوة تبوك وأعلنا إسلامهما، وكتب لهما (ﷺ) هذا الحديث، لأنه زويت له الأرض من مشارقها إلى مغاربها وأنه يعلم بأن الله (سبحانه وتعالى) سيفتح هذه البلاد على يدي المسلمين، وأنها ستكون أرضاً إسلامية، وهذا ما حدث فعلاً. وكان من نتائج ذلك أن فتح المسلمون بيت المقدس، وأصبح الإقطاع وقفاً على آل تميم، كما أنه (رضي الله تعالى عنه) أصبح والياً إدارياً على بيت المقدس بعد الفتوحات الإسلامية،وهذا من دلائل النبوة وإعجاز الدعوة الإسلامية، التي عم نورها أكناف بيت المقدس، وديار فلسطين، وأرض الشام عامّة.

"وقد تحدث العديد من المؤرخين عن العهدة العمرية، أما النصوص المطولة التي وصلتنا، فقد جاءت من كل من الطبري، والحنبلي ونصا آخر من الروم الأرثوذوكس في القدس، ويختلف نص الحنبلي بعبارة "قبل مقتل فلان" ويبدو أن الأستاذ مروان البحيري كان هو الآخر استند في بحثه على نص الطبري"[1]

وهناك العديد من الفضائل لبيت المقدس تمتاز بها عن غيرها من البلدان في هذا الوجود، كفضل الأذان والصدقة والصيام والاستغفار والدفن والكرامات الأخرى،لهذا البلد الطاهر ولمن قام فيه بأداء أحد هذه الأفعال الطيبة.

---

(1) غوشه، محمد هاشم، فتح بيت المقدس، 1995م، ص 75.

الفصل الثاني

المبحث الأول

بيت المقدس في عهود الخلفاء الراشدين

المطلب الأول: عهد أبي بكر الصديق (رضي الله عنه).

التحق الرسول الأكرم (ﷺ) إلى الرفيق الأعلى، في شهر ربيع الأول العام الحادي عشر من الهجرة النبوية الشريفة، بعدما بلّغ الرسالة، وأدى الأمانة، وأكمل الله على يديه هذا الدين العظيم، قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا لِغَيْرِ﴾[1]

اختار المسلمون أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) خليفة عليهم لحمل الرسالة وأداء الأمانة التي أوكلت إليه، فكانت المهمة عظيمة، والمسؤولية جسيمة، وهي بحاجة إلى من يتحملها ويكمل السير فيها، لما تحقق من إنجازات لهذه الأمة، والمحافظة عليها، بل والسير بها إلى الأمام على طريق الهادي الذي وضع وبيّن معالم الطريق، فكان اختيار الخليفة الراشد أبا بكر الصديق خير من وقع عليه الرأي، وكان أمامه مهام جسام، كان لا بد له من تحقيقها وأهمها ما يلي:

1- حمل الرسالة الإسلامية والسير بها إلى حيث أراد الله (سبحانه وتعالى) لها وتنفيذ ما أوكل إليه من الرسول الكريم، وكان على رأس هذا الأمر، مواصلة بعثة أسامة بن زيد، الذي أوفده الرسول الكريم لفتوح بلاد الشام.

2- قامت أخطر حركة مناوئة للدعوة الإسلامية داخل الجزيرة العربية، وهي ما تسمى بحركة الردة والتي تزعمها (مسيلمة الكذاب) والتف حوله عدد من قبائل العرب ضعيفي الإيمان، ونشبوا السيف في وجه الدعوة الإسلامية، وقد امتشق الخليفة الراشد سيف الله المسلول خالد بن الوليد للتعامل مع هؤلاء المنشقين، واستطاع بإرادة الله أن يقضي على هذه الظاهرة الخطيرة، وتعاد الأمور إلى نصابها، ويتجه المسلمون عامة إلى خارج الجزيرة العربية.

استهلّت سنة توليته الخلافة وهو عازم على جمع الجنود ليبعثهم إلى الشام، وذلك بعد مرجعه من الحج، عملاً بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ

(1) القرآن الكريم، سورة المائدة آية رقم 3.

ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[1] وبقوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ وإقتداء برسول الله (ﷺ) فإنه جمع المسلمين لغزو الشام، وذلك عام تبوك حتى وصلها في حر شديد وجهد، فرجع عامه ذلك ثم بعث قبل موته أسامة بن زيد مولاه ليغزو تخوم الشام: كما تقدم – ولما فرغ الصديق من أمر جزيرة العرب بسط يمينه إلى العراق، فبعث إليها خالد بن الوليد، ثم أراد أن يبعث إلى الِشام كما بعث إلى العراق.

ووقف خطيبا في المسجد قائلا. عوّل رسول الله (ﷺ) أن يصرف همته إلى بلاد الشام فقبضه الله إليه واختار له ما لديه، ألا وأني عازم أن أوجه أبطال المسلمين إلى الشام بأهلهم ومالهم فإن رسول الله (ﷺ) أنبأني بذلك قبل موته وقال (زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها فما قولكم في ذلك، فقالوا يا خليفة رسول الله، مرنا بأمرك ووجهنا حيث شئت، فإن الله تعالى فرض علينا طاعتك، فرح أبو بكر (رضي الله عنه) ونزل عن المنبر وكتب الكتب إلى ملوك اليمن، ودفع هذه الكتب مع رسله، وقد تنادى أهل اليمن لهذا النداء ودعوة الجهاد وقد أشرفت الكتائب والمواكب يتلو بعضها بعضا، قوم إثر قوم، وقبيلة إثر قبيلة، فكان أول قبيلة ظهرت من قبائل اليمن حمير، وهم بالدروع الداويه والبض العادية، والسيوف الهندية، وأمامهم ذو الكلاع الحميري (رضي الله عنه) فتبسم أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) وقال: يا أبا الحسن: أما سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: إذا أقبلت حمير ومعها نساؤها تحمل أولادها فابشر بنصر الله على أهل الشرك أجمعين، فقال علي كرم الله وجهه، وأنا سمعته من رسول الله (ﷺ) وأقبلت بعدها قبائل مذحج وطئ والأزد وبنوعبس وبنو كنانة.[2]

شرع في جمع الأمراء في أماكن متفرقة من جزيرة العرب وكان قد استعمل عمرو بن العاص على صدقات قضاعة، معه الوليد بن عقبه فيهم فكتب إليه يستنفره إلى الشام (إني كنت قد رددتك عن العمل الذي ولاكه رسول الله (ﷺ) مرة، وسماه لك أخرى، وقد أحببت أبا عبد الله أن أفرغك لما هو خير لك في حياتك ومعادك منه، إلا أن يكون الذي أنت فيه أحب إليك، فكتب إليه عمرو بن العاص: إني سهم من سهام الإسلام، وأنت عبد الله الرامي بها والجامع لها، فانظر أشدها وأخشاها، فارم بي فيها، وكتب إلى الوليد بن عقبة بمثل ذلك، ورد عليه مثله، وأقبلا بعدما استخلفا في عملهما إلى المدينة، وقدم خالد بن سعيد من اليمن ودخل المدينة،ولما اجتمع عند الصديق من الجيوش ما أراد، قام في الناس خطيبا فأثنى على الله بما هو أهله، ثم حث الناس على الجهاد، فقال: (ألا لكل أمر جوامع فمن بلغها فهي حسبه ومن عمل الله كفاه الله، عليكم بالجد والقصد فإن القصد أبلغ، إلا أنه لا دين لأحد لا

(1) القرآن الكريم، سورة التوبة، آية رقم 123.

(2) البلاذري، فتوح البلدان، ج1، القاهرة، 1957م، ص 6.

إيمان له ولا إيمان لمن لا خشية له ولا عمل لمن لا نية له، ألا وإن في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله، لما ينبغي للمسلم أن يحب أن يخص به هي النجاة التي دل الله عليها إذ نجى بها من الخزي وألحق بها الكرامة)[1]

كانت الجبهات الثلاث، التي واجهت الخليفة الراشد أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) ضخمة فالجبهة الداخلية من عرب الردة استطاع أن يتغلب عليها بإرادة الله، كما كان هناك جبهتان كبيرتان وإمبراطوريتان ضخمتان تقعان على تخوم الجزيرة العربية، فإمبراطورية فارس من الشرق، وإمبراطورية الروم من الشمال التي أومأ إليها الرسول الكريم (ﷺ) في العديد من توجهاته، صوب هذه الديار لأنها عقر دار الإسلام، وبوصلة بيت المقدس، وأرض الرباط إلى يوم الدين، والتي قام الرسول الكريم (ﷺ) باتخاذ الخطوات العملية وإعداد الجيوش لها، من أجل نشر الدعوة الإسلامية في هذه الربوع وبمجرد انتقاله (ﷺ) إلى الرفيق الأعلى، واستلام الخليفة الراشد هذه المهمة الضخمة، واصل المسير على نفس النهج، وهيأ الجيوش واختار القادة المخلصين، هؤلاء القادة الذين كانوا بالأمس من ألد أعداء الإسلام وكانوا حربا عليه، هاهم اليوم من أشد قادة الإسلام جرأة على الحق، وخوض المعارك مع أعتى قادة الروم والفرس، وقد فتح الله على أيديهم هذه الديار،وكيف كانت الإجابة المهذبة لهذا القائد الفذ، للخليفة والتي شبه نفسه فيها بأنه سهم من سهام الإسلام، وأن الخليفة هو الرامي لهذه السهام، وانه أهل لتحمل المسؤولية، وقد أقرن الشدة بالتقوى والإيمان بالعمل، ليكون من يركن إليه في مواجهة أعداء الله.

لقد كانت خطبة الخليفة الراشد في جيوش المسلمين، خطبة وعظية تنم على الإرادة القوية الصلبة والحث على الجهاد في سبيل الله.

شرع الصديق في تولية الأمراء، وعقد الألوية والرايات، فيقال، إن أول لواء عقده لخالد بن سعيد بن العاص في اليوم الثاني من ربيع الثاني من العام الثاني عشر للهجرة النبوية الشريفة،فجاء عمر بن الخطاب فثناه عنه وذكره بما قال، فلم يتأثر به الصديق كما تأثر به عمر بن الخطاب، بل عزله عن الشام وولاه أرض تيما ليكون بها فيمن معه من المسلمين، حتى يأتيه أمره ثم عقد لواء يزيد بن أبي سفيان في 23 رجب السنة الثانية عشرة من الهجرة النبوية الشريفة، ومعه جمهور من الناس ومعه سهيل بن عمرو وأشباهه من أهل مكة، وخرج معه ماشياً يوصيه بما اعتمده في حربه ومن معه من المسلمين، وجعل له دمشق، وبعث أبا عبيده عامر بن الجراح على جند آخر في 7 شعبان من نفس السنة، وخرج

(1) ابن الأثير، البداية والنهاية، ج تحقيق، خليل محمود شيحه،ج2، عمان، دار المعرفة للطباعة والنشر، 2002م، ص 3.

معه ماشياً يوصيه، وجعل له نيابة حمص وبعث عمرو بن العاص في السابع من محرم من العام الثالث عشر للهجرة النبوية الشريفة،ومعه جند آخر وجعله على فلسطين.

سار أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) يودع جيوش المسلمين، يتقدمها عمرو بن العاص صوب فلسطين موصياً هذا القائد الفذ بالوصايا التي تعتبر دستوراً في عالم الحرب وحسن المعاملة مع البلاد التي يفتحها المسلمون، والأقوام الذين يتم الاستيلاء عليهم، ليكونوا قدوة لهم في الدخول في دين الله ومن هذه الوصية لعمرو بن العاص:

(وإذا سرت بجيشك، فلا تسر في الطريق التي سار فيها يزيد وربيعة وشرحبيل، بل اسلك طريق إيليا حتى تنتهي إلى ارض فلسطين، وابعث عيونك يأتونك بأخبار أبي عبيدة، فإن كان ظافرا لعدوه فكن أنت لقتال من في فلسطين.

واعلم يا عمرو، أن معك المهاجرين والأنصار من أهل بدر، فأكرمهم واعرف حقهم ولا تتطاول عليهم بسلطانك، ولا تداخلك نجدة الشيطان فتقول: إنما ولاني أبو بكر لأني خيرهم، وإياك وخداع النفس، وكن: احدهم، وشاورهم فيما تريد من أمرك والصلاة ثم الصلاة.

واتق الله إذا لاقيت العدو، وإذا وعظت أصحابك، وأوجز، وأصلح نفسك تصلح لك رعيتك فالإمام ينفرد إلى الله تعالى فيما يعلمه وفيما يفعله في رعيته، وإني قد وليتك على من قد مررت من العرب فاجعل كل قبيلة على حميتها، وكن عليهم كالوالد الشفيق الرفيق. واخلف على الناس من ترضاه.[1]

كان الجيش من تسعة آلاف رجل من أهل مكة وثقيف وطئ والطائف وهوا زن وبني كلاب،

في السابع من شعبان من نفس العام، وبعد أن غادر عمرو بن العاص ديار المدينة المنورة متجها إلى أرض فلسطين، كان أبو عبيدة عامر بن الجراح قد جهَّز حملته، وسار معه أبو بكر فلم يكرر الوصية بل قال: يا أمين الأمة، قد سمعت ما وصيت به عمرو بن العاص.

أمرَ كل أمير أن يسلك طريقاً غير طريق الآخر لما لاحظ في ذلك من تداخل من المصالح، وكان الصديق اقتدى في ذلك بنبي الله يعقوب (عليه السلام) حينما قال لبنية ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾[2] فكان سلوك يزيد بن أبي سفيان على تبوك.

---

(1) الواقدي، فتوح الشام، عمان، دار الجيل، ج1، ص 8 .

(2) القرآن الكريم، سورة يوسف، آية رقم 67.

قال الواقدي (كانت الساقطة، التجار، تنزل المدينة في الجاهلية والإسلام، يقدمون بالبر والشعير والزيت والتين والقماش وما يكون في الشام، فقدم بعض الساقطة إلى المدينة وأبو بكر ينفذ الجيوش، وسمعوا كلام أبي بكر لعمرو بن العاص، وهو يقول عليك بفلسطين، وإيليا (القدس)، قال فساروا بالخبر إلى الملك هرقل، فلما سمع بذلك، جمع أرباب دولته وبطارقته، وأعلمهم بالحديث الذي جرى، وقال يا بني الأصفر هذا الذي كنت قد حذرتكم منه قديماً،وأن أصحاب هذا النبي لا بد أن تملك ما تحت سريري هذا، وقد قرب الوعد وأن خليفة محمد قد أنفذ لكم الجيوش، وكأنك بهم وقد أتوكم وقصدوا نحوكم، فحذروا أنفسكم، وقاتلوا عن دينكم، وعن حريمكم، فإن تهاونتم ملكت العرب بلادكم وأموالكم، قال فبكى القوم، فقال: دعوا عنكم البكاء، ثم قال له وزيره، أيها الملك: قد اشتهينا أن تدعو بعض من قدم بهذا الخبر عليك، فأمر هرقل بعض حجابه أن يأتي برجل من المتنصرة ممن قدم عليه بالأخبار برجل منهم، فقال الملك، كم عهدك: ؟ قال: منذ خمسة وعشرين يوماً، قال: فمن المولي عليهم؟ قال رجل يقال له أبو بكر الصديق: وجه جيوشه إلى بلدك، قال هل رأيت أبا بكر؟قال نعم: وأنه أخذ مني شمله بأربعة دراهم وجعلها على كتفه، وهو كواحد منهم يمشي في ثوبين، ويطوف بالأسواق ويدور على الناس يأخذ الحق من القوي للضعيف، قال هرقل صفه لي: قال هو رجل آدم اللون ضعيف العارضين، فقال هرقل، وحق ديني، هو صاحب أحمد الذي كنا نجد في كتبنا أنه يقوم بالأمر من بعده، ونجد في كتبنا أيضاً، أن بعد هذا الرجل رجلاً آخر طويلاً كالأسد الوثاب يكون على يديه الدمدمة والجلاء، قال فشهق المتنصر من قول هرقل، وقال: إن هذا الذي وصفته لي رأيته معه لا يفارقه، قال هرقل: هذا الأمر والله قد صح وقد دعوت الروم إلى الرشد والصلاح فأبوا أن يطيعوني، وأن ملكي سوف ينهدم فعقد صليباً من الجوهر وأعطاه قائد جيوشه روبيس. وقال له: قد وليتك على الجيوش، فسيروا لمنع العرب من فلسطين، فإنها بلد خصب كثيرة الخير، وهي عزنا وجاهنا وتاجنا، فتسلم روبيس الصليب، وسار من يومه إلى أجنادين، وأتبعه جيش الروم عمرو بن العاص في فلسطين.[1]

إن المتتبع لهذا الحديث الذي نقله الساقطة (التجار)، الذين كانوا يأتون ببضاعتهم من بلاد الشام إلى بلاد الحجاز، وصادف تواجدهم في هذه المرحلة، ودعا أبو بكر الصديق (رضي الله عنه)عمرو بن العاص (رضي الله عنه)، وكيف أن التوجيه كان لبلاد فلسطين، وأن وجهة هذا الجيش ستكون بيت المقدس، وهي الهدف الرئيس الذي يمم المسلمون، لتكون القدس هي البوصلة التي يهتدي ويسير إليها المسلمون، لما لها من عمق في العقيدة الإسلامية، وأثر في نفوس المسلمين، وعندما تناهي الخبر إلى هرقل الروم، الذي كان وعلم من صفات هؤلاء الأقوام، وعن صفات أبي بكر الصديق وتواضعه، وأنه يأخذ

(1) الواقدي، فتوح الشام، سبق ذكره، ص 17.

الحق من القوي ليعيده إلى الضعيف، وما يتمتع به من صفات أدبية، وتقشف في الحياة، وأنه هدفه الآخرة لا الدنيا ببهارجها، أيقن هرقل الروم بأن هؤلاء الأقوام هم الجديرون بالنصر، وأنه صاحب أحمد الذي كان يجد نعته في الإنجيل، وأن الرجل الذي كان بجانبه ولا يفارقه، الطويل كالأسد الوثاب، فهو سيكون على يديه الدمدمة والجلاء هو عمر بن الخطاب، (رضي الله عنهما).

لم يجد نصح هرقل لحاشيته أي أثر في نفوسهم فيتبعون مشورته 0بل صدوا عن هذه المشورة وأنهم سيلاقون من المسلمين ما توقعه من ملك لبلاده وأنهم سيملكون تحت سريره، بل أن المسلمين سيملكون أرض فلسطين التي هي أرض خصبه وفيها عزهم وكرامتهم، فتدوس خيول الفتح الإسلامي هذه الديار فتصير إليهم: وهذا ما حدث فعلاً.

قال محمد بن إسحق عن صالح بن كيسان، خرج أبو بكر ماشياً ويزيد بن أبي سفيان راكباً وجعل يوصيه فلما فرغ قال: أقرئك السلام واستودعك الله ثم انصرف ومضى يزيد وأجّد السير، ثم تبعه شرحبيل بن حسنه في السابع والعشرين من رجب من نفس السنة، ثم أبي عبيده مدداً لهما في السابع من شعبان أيضاً فسلكوا غير ذلك الطريق، يقال أن يزيد بن أبي سفيان نزل البلقاء أولا، ونزل شرحبيل بالأردن، ويقال ببصرى، ونزل أبو عبيدة بالجابية، وجعل الصديق يمدهم بالجيوش، وأمر كل واحد منهم أن يضاف إلى من أحب من الأمراء[1].

وصل الخبر إلى هرقل الروم، وهو مقيم بالقدس، فلما عرف صفات جيوش المسلمين وأمر الخليفة الراشد أبا بكر الصديق، أجاب قومه قائلا (فو الله لأن نصالحهم على نصف ما يحصل من الشام لكم نصفه من بلاد الروم، أحب إليكم من أن يغلبوكم على الشام ونصف بلاد الروم، فتفرقوا فجمعهم وسار بهم إلى حمص)[2]

دخل المسلمون فلسطين عن طريق وادي عربه، فكانت أولى المعارك بين المسلمين والروم في " داثن " يوم 24 من ذي الحجة سنة 12 هـ " وداثن " في أرض فلسطين، وهي خربة " الدميثة " اليوم تقع شرقي دير البلح في قطاع غزة على مسيرة خمسة أكيال منها، كما تقع على أمد 16 كيلا للجنوب الشرقي من غزة.[3]

كان لا بد لنا من وقفة أمام هذا الحدث الكبير، فالمتتبع لعدد من هؤلاء القادة، يجد فيهم من كان من ألد أعداء الإسلام بالأمس وها هو اليوم سهم من سهام الإسلام، يرمى به في نحور ألد أعداء الله،

---

(1) المصدر نفسه، ج7، ص 2.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج2، سبق ذكره، ص 197.

(3) شراب، بيت المقدس، سبق ذكره، ص 78.

كما أن بعضهم قد تربى في أحضان من كان ألد أعداء الرسول الكريم، وها هو اليوم من أشد الناس نصرة لدين الله، أما أسامة بن زيد فهو صحابي جليل من صحابة رسول الله (ﷺ)، كان واحداً من الأعراب قبل أن يدخل الإسلام قلبه، وأن الإسلام قد امتشق منه قائداً وجهه الرسول الكريم لمشاغلة أكبر دولة في ذلك العصر، ألا وهي دولة الروم في بلاد الشام.

مفارقات كبيرة جداً، ولكنه الإيمان والعقيدة السمحة والتربية الفاضلة ودين الله المتين، الذي أنجب من هذه الأمة القادة المخلصين والجند الأوفياء، الذين فتح الله بهم وعلى أيديهم مشارق الأرض ومغاربها، إنها مهمة شاقة وليست بالسهلة، أن يدخل هؤلاء المسلمون غمار الحروب مع أعتى قوتين آنذاك بهذا العدد غير المتكافئ، والعدة المحدودة إلا من الإيمان الذي ليس له حدود، كما أنهم كانوا يحاربون على أرض غير أرضهم، وتجهموا مسافات شاسعة، واحتاجوا إلى إمدادات ضخمة، فكيف تم لهم ذلك، وكيف أيديهم الله بنصره، إذن هي العقيدة السمحة وإرادة الله التي هيأت لهذا الدين الرجال المخلصين الذين فتح الله على أيديهم البلاد والعباد.

المطلب الثاني: يوم فلسطين

قال الواقدي "قد بلغني أن عمرو بن العاص توجه إلى إيليا حتى وصل إلى أرض فلسطين هو ومن معه، قال فلما نزل المسلمون بفلسطين جمع عمرو المسلمين المهاجرين والأنصار وشاورهم في أمرهم، بينما هم في المشورة، إذ أقبل عليهم عدي بن عامر، وكان من خيار المسلمين، وكان كثيراً ما يتوجه إلى بلاد الشام، وداس أرضهم، وعرف مساكنها، ومسالكها، فلما أشرفوا على المؤمنين داروا به وأوقفوه بين يدي عمرو بن العاص. فقال له: ما الذي وراءك يا ابن عامر، قال ورائي المتنصرة وجنودهم مثل النمل، فقال له يا هذا ملأت قلوب المسلمين رعباً، وإنا نستعين بالله عليهم، فقال له فكم حزرت القوم؟ فقال: أيها الأمير، إني قد علوت على شرف من الجبال عالي فرأيت من الصلبان والرماح والأعلام، ما قد ملأ الأجم، وهو أعلى جبل بأرض فلسطين، وهم زيادة على مائة ألف فارس.

قال فريق من المسلمين.يا عمرو: ارجع بنا إلى البرية، فإذا جاءهم الخبر فإنهم يتفرقون لأنهم لا يقدرون على فراق القرى والحصون، وبعد ذلك نعطف عليهم، ورأى البعض الآخر ضرورة النهوض بالقتال، فقال سهل بن عمرو: فمن شاء فلينهض ومن شاء فليرجع، ومن نكص على عقبيه فأنا وراءه بالمرصاد، ولما قام، قام معه عبد الله بن عمر بن الخطاب، فعقد له عمرو راية وضم إليه ألف فارس فيهم رجال من الطائف ومن ثقيف، وأمرهم بالمسير، فسار عبد الله بن عمر وجعل يجد السير بقية يومه إلى الصباح وإذا بغبرة القوم قد لاحت، فقال عبد الله بن عمر، هذه غبرة عسكر وأظنها طليعة القوم، ثم

وقف ووقف أمامه أصحابة، فقال قوم من البادية، اتركنا نرى ما هذه الغبرة، قال: لا تتفرقوا من بعضكم حتى نرى ما هي، فوقف الناس، وإذا بالغبرة قد قربت وانكشفت عن عشرة آلاف من الروم وقد بعث معهم روبيس بطريقا من أصحابه، وكانوا قد ساروا يكشفون خبر المسلمين، فلما نظرهم عبد الله بن عمر قال لأصحابه: لا تمهلوهم لأنهم لا بد لهم منكم، والله ينصركم عليهم، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف.قال: فأعلن القوم بقولهم لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فلما جهروا بها أجابهم الشجر والمدر والدواب والحجر، وكان أول من حمل عكرمة بن أبي جهل، وتبعه سهل بن عمرو والضحاك أيضا بالجملة، وصاح في رجاله وحمل المهاجرون والأنصار معهم والتقى الجمعان، وعمل السيف في الفريقين. قال عبد الله بن عمر وبينما أنا في الوقعة إذ نظرت من القوم بطريقاً عظيم الخلقة، وهو كالحائر البليد وهو يركض يمينا وشمالا، فقلت: إن يكن لهذا الجيش عين فهذا عين الجيش وصاحب الطلائع، وهو مرغوب من الحرب، فلما حملت عليه ومددت قناتي إليه نفر فرسه من الرمح فهربت منه وأوهمته أني أريد الانهزام، ثم عطفت عليه وطعنته فوقع، فو الله قد خيل لي أني ضربت بسيفي حجراً،وسمعت طنين السيف حتى حسبت أن سيفي انفصل فإذا هو صريع، ثم عطفت عليه وأخذت لامته، فلما رأى المشركون صاحبهم مجندلا داخلهم الفزع والهلع وصدمهم المسلمون في الضرب والقتال، فلله در الضحاك والحرث بن هشام، لقد قاتلا قتالاً شديداً ما عليه من مزيد، فما كان غير قليل حتى انهزم الكفار من بين أيديهم هاربين، قال: فرجع المسلمون واجتمع بعضهم على بعض، وجمعوا الغنائم والأموال وقال بعضهم لبعض، ما فعل الله بعبد الله بن عمر، قال قائل منهم الله خبير بحسن زهده وعبادته، وقال آخرون لقد أصبنا بابن عمر، فما كان يساوي هذا الفتح شعرة من رأسه، قال عبد الله بن عمر، وأنا مع ذلك أسمع كلامهم خلف الراية، فأعلنت بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وهززت الراية، فلما نظر المسلمون الراية سارعوا إليّ وقالوا أين كنت فقلت: اشتغلت بقتال صاحبهم[1]

تمكن المسلمون من أسر ستمائة أسير من الروم، فأخذوهم مع الغنائم والأموال والخيول، وقد استشهد من المسلمين سبعة، ولدى استنطاق الأسرى تبين أن ثلاثة بينهم من أنباط الشام، وقد قالوا "يا معشر العرب: إن هذا روبيس قد أقبل عليكم في مائة ألف فارس، وقد أمره الملك ألا يدع أحداً من العرب إلى إيليا، وبعث هذا البطريق طليعة.

(1) الواقدي، سبق ذكره ن ص 19.

وفي الصباح وصل جيش الروم، وكان معه عشرة صلبان، تحت كل صليب عشرة آلاف فارس، وكان ابن العاص قد رتّب جيشه ميمنة وميسرة والساقة والقلب، ووقف هو في القلب والتقى الجمعان في السهل)[1]

إن أول حرب وقع بالشام، أن الروم اجتمعوا بمكان يقال له العربة من ارض فلسطين، فوجه إليهم أبا أمامه في سرية فقتلهم، وغنم منهم، وقتل منهم بطريقاً عظيماً، ثم كانت بعد هذه وقعة مرج الصفر، استشهد فيها خالد بن سعيد بن العاص وجماعة من المسلمين، يقال إن الذي استشهد في مرج الصفر ابن خالد بن سعيد بن العاص وأما هو ففر حتى انحاز إلى أرض الحجاز – فالله أعلم – حكاه ابن جرير، قال: ابن جرير، ولما انتهى خالد بن سعيد إلى تيما اجتمع له جنود من الروم في جمع كثير من نصارى العرب من تنوخ وبني كلب وسليح ولخم وجذام وغسان فتقدم إليهم خالد بن سعيد فلما اقترب منهم تفرقوا عنه، ودخل كثير منهم في الإسلام، وبعث إلى الصديق يعلمه ما وقع من الفتح، فأمره الصديق أن يتقدم ولا يحجم، وأمده بالوليد بن عتبه، وعكرمة بن أبي جهل، وجماعة، فسار إلى قريب من إيليا (القدس) فالتقى هو وأمير من الروم يسمى ماهان، فكسره فلجأ ماهان إلى دمشق، فلحقه سعيد بن العاص، وبادر الجيوش إلى لحوق دمشق، وطلب الحظوة، فوصلوا إلى مرج الصفر، فانطوت عليه مسالح ماهان، وأخذوا عليهم الطريق، وزحف ماهان وفرّ خالد بن سعيد فلم يرد إلى ذي المروة، واستحوذ الروم على جيشهم، إلا من فر على الخيل، وثبت عكرمة بن أبي جهل، وقد تقهقر عن الشام قريباً، وبقي ردءاً لمن نفر إليه، وأقبل شرحبيل بن حسنة من العراق من عند خالد بن الوليد، إلى الصديق فأمّره على جيشه، وبعثه إلى الشام فلما مر خالد بن سعيد بذي المروة، أخذ جمهور أصحابه الذين هربوا معه إلى ذي المروة، ثم اجتمع عند الصديق طائفة من الناس، فأمّر عليهم معاوية بن أبي سفيان، وأرسله وراء أخيه يزيد بن أبي سفيان، ولما مر بخالد بن سعيد، أخذ من كان بقي معه بذي المروة إلى الشام، ثم أذن الصديق لخالد بن سعيد بالدخول إلى المدينة، ثم قال: كان عمر أعلم بخالد[2]

كان ابو عبيدة عامر بن الجراح يخوض المعارك في الجبهة الشرقية من بلاد الشام، فبعث إليه عمرو بن العاص عن نتائج المعركة التي دارت بين المسلمين والروم، وما آلت إليه من نصر مؤزر أذهل الأعداء، وما فتح الله به على المسلمين حيث قتل من الروم ما يربو على الخمسة عشر ألفاً، واستشهد من المسلمين مائة وثلاثين.

(1) الحوت، فلسطين، سبق ذكره، ص 84.

(2) ابن كثير، ج7، سبق ذكره، ص 4.

(حاصر المسلمون دمشق وكان وردان قائد الروم قد التقى به ضرار بن الأزور، فقتل ولده همدان، لكن الروم شددوا على ضرار وأصابوه في يده، وتم أسره فلحق به خالد بن الوليد، وخاض ضد الرومان معركة حاسمة في وادي الحياة وخلصّه من يد الرومان، وقد أبلت في هذه المعركة أخته خوله بنت الأزور.

لدى مغادرة المسلمين دمشق ملتحقين بأجنا دين، أوكل هرقل إلى بولص باللحاق بالمسلمين، وكان رجلاً شديداً ودارت معركة حامية بين الفئتين حيت كان القائد المسلم أبو عبيدة، ودارت حرب طاحنة بين الجهتين، فلحق سهيل بن صباح بخالد بن الوليد، وأخبره بمجريات المعركة، وقفل خالد معينا لأبي عبيدة، حيث تم في هذه المعركة أسر عدد من نساء المسلمين، ومنهن خوله بنت الأزور، وقد عرضت نساء المسلمين على بطرس أخو بولص فقال عن خولة (هذه لي وأنا لها، وهي لا تصلح إلا لي) فقالت خولة للنساء: يا بنات التبابعة خذن أعمدة الخيام وأوتاد الإطناب، فنحمل بها على هؤلاء اللئام، فلعل الله ينصرنا عليهم، أو نستريح من معرة العرب، فقالت عفرة بنت غفار والله ما دعوت إلى ما هو أحب إلينا مما ذكرت، فتناولت كل واحدة عموداً من أعمدة الخيام، وصِحنَ صيحة واحدة، وهجمن على الخيل، وقتلن ثلاثين من الروم، فقال بطرس لا أحد يصل إلى خوله لأنها لي.

أقبل خالد وأخبر بما فعلن، فقال لا عجب من ذلك فإنهن من بنات العمالقة، ونسل التبابعة، وما بينهن وما بين تبع إلا قرن واحد، وتبع بن بكر بن حسان الذي ذكر رسول الله (ﷺ) قبل ظهوره وشهد له بالرسالة قبل أن يبعث، وقال شهدت بأحمد أنه رسول من الله، بارئ كل النسم وأمته سميت في ألزبور بأمة أحمد خير الأمم، فلو مد عمري إلى عصره لكنت وزيراً له وابن عم)[1]

هذا موقف عظيم وقفه المسلمون على أبواب دمشق، قبل أن يتوجهوا إلى ارض فلسطين، وكانت الأولوية في الفتوحات الكبرى في المعركة المرتقبة مع الروم، وقد أبلى المسلمون بلاء عظيماً رجالاً ونساءً في هذه المعركة، وتجلى ضرار بن الأزور وأخته خوله في المعارك الشرسة، ووقع كل منهما في أيدي الروم، وتم إنقاذه وإنقاذها من أيديهم بإذن الله، وإنما عرجنا على هذا الحدث، وما جرى لدمشق من حصار، لنبين أن الأولوية كانت في فتوحات المسلمين لبلاد فلسطين وما حول بيت المقدس، وهذا ما أوصى به رسول الله (ﷺ) والخلفاء الراشدون من بعده، وما لها من أهمية ومركزية في العقيدة الإسلامية، فإذا فتحت فلسطين دالت بلاد الشام وما حولها للفاتحين المسلمين لأنها عقر دار الإسلام.

لما مرَّ أبو عبيدة بأرض البلقاء قاتلهم حتى صالحوه، وكان أول صلح وقع بالشام، كان والد سعيد بن خالد جالساً، حينما وصلت الرسالة إلى أبي عبيدة، فعلم بنبأ استشهاد ولده سعيد فحزن حزناً

(1) الواقدي، سبق ذكره، ص 54.

شديداً على ولده وأصرّ على مشاهدة قبره والانتقام من الكفرة لـه، فوافقـه أمـين الأمـة علـى أن يغـادر صوب فلسطين، ويلتحق بالجبهة الغربية، وقد أخذ معه رسالة مـن أمـين الأمـة إلى عمـرو بـن العـاص، القائد العام لجيوش الفتح الإسلامي في هذه الديار، وقد جاء في هذه الرسـالة (000فـإن كـان أبـو بكـر أمرك أن تكون معنا فسر إلينا، ،وإن كان أمرك بالثبات في موضعك فاثبـت)فمـا كـان مـن عمـرو إلا أن ثبت في أرض فلسطين، حيث وصية رسول الله (ﷺ) ووصية خليفته الصديق.

التحق خالد بن سعيد بإمرة عمرو بن العاص، وأمده بثلاثمائة فارس من المسلمين كـي يلاحـق فلول الروم، فرأى ليلاً أشباحاً على رأس جبل، فداروا حولهم حتى فاجأ وهم، فإذا بهـم فلاحـون مـن أنباط الشام، خافوا من التحام المعارك فالتجئوا إلى الجبل، وقد أعلموا خالـداً بـأن الـروم يتجمعـون في أجنادين لملاقاة المسلمين بحشد كبير.

أعلم هؤلاء الأنباط خالداً، بأن بطريرك الروم قـادم إلـيهم، ليأخـذ مـنهم المـيرة، وقـاموا ودلّـوا المسلمين على الطريق وأعلموهم بأنهم مسيحيون، فكمن له المسلمون وقتلـوا البطريـرك وغنمـوا المـيرة التي جمعها، فأطلق المسلمون سراحهم ولم يكرهوهم على اعتناق الإسلام.

تبقى هذه الحادثـة مـن الأواصـر الإنـسانية بـين الـسكان المـسيحيين وعـرب الجزيـرة الفـاتحين المسلمين، فخالد بن سعيد هو الأب المفجوع بولده، استمع إلى نصيحة أصحابه، ولم يتعرض بـأي سـوء لهؤلاء، كما أنه احترم تمسكهم بدينهم إذ قـالوا (مـا نعـرف إلا ديـن الـصليب) وراعـى أحـوالهم، فهـم مواطنون بسطاء، وما كانوا مقاتلين في جيش الروم. [1]

المطلب الثالث: معركة أجنادين

بعد انجلاء المعركة، وفوز المسلمين على أرض فلسطين، كتب عمرو بن العـاص إلى الخليفـة أبـي بكر الصديق في المدينة المنورة، يعلمه بما قد تحقق للمسلمين من نصر على الروم، أيقن الخليفة الراشد أن الروم لن يسكتوا على ما جرى بهم، وأنهم يعدون العدة للانتقام من المسلمين بإعـداد الجيـوش والـزج بهم في معركة أخرى فاصلة، يستعيدون بها كرامتهم، فأدرك (رضي الله عنه) خطورة هذه المرحلة، وأنـه لا بد من رص الصفوف، وتوحيد القيادة لأنها مرحلة هامة وخطيرة، ولا بد من حسم الموقـف، فكتـب إلى خالد بن الوليد وهو يقارع الفرس في العراق، بالالتحاق بعمرو بن العاص في فلـسطين، وأن تكـون معركة فلسطين هي المعركة الفاصلة، حيث انه بالنـصر في هـذه المعركـة علـى الـروم تتحقـق للمـسلمين الفتوحات المتتالية، إذ أنهم أصـبحوا علـى أبـواب بيـت المقـدس، فتـأتي لهـم الفرصـة ليميلـوا عليهـا، ويفتحوها، وقد أسندت القيادة العامة لجيوش المسلمين إلى خالد بن الوليد.

---

(1) الحوت،بيان نويهض، فلسطين، سبق ذكره، ص85.

كانت جيوش المسلمين تعمل في عدة جبهات بقيادة قادة أفذاذ، كل يعمل في الجبهة التي أوكلت إليه، وبعد أن تسلم خالد بن الوليد القيادة العامة، أخذ يصدر التعليمات إلى القادة الآخرين في الميادين المختلفة بالتوجه إلى أجنادين في فلسطين، فكتب إلى شرحبيل بن حسنة في بصرى، ومعاذ بن جبل في حوران، ويزيد بن أبي سفيان في البلقاء، والنعمان بن المغيرة في تدمر، يطلب من الجميع التوجه إلى ساحة المعركة المرتقبة[1]

كانت دمشق ما تزال محاصرة من قبل جيوش المسلمين، ولم يرفع الحصار عنها، كما أن حمص قد تمت السيطرة عليها من قبل المسلمين، وذلك بعد أن انهزم وردان صاحبها، فكتب إليه هرقل ملك الروم يحثه على اللحاق بأجنادين ليقابل جيوش المسلمين قائلا:

"أما بعد: فإني قد بلغني جياع الأكباد، عراة لأجساد، قد هزموك وقتلوا ولدك همدان (رحمه المسيح) ورحمك، ولولا أعلم أنك فارس الحرب، ومجيد الطعن والضرب، وليس النصر آتيك لحلّ عليك سخطي، والآن مضى ما مضى، وقد بعثت إلى أجنادين تسعين ألفا، وقد أمرّتك عليهم فسر نحوهم، وأنجد أهل دمشق، وأنفذ بعضهم ليمنعوا من في فلسطين من العرب، وحل بينهم وبين أصحابهم وانصر دينك وصاحبك)[2]

التقى الجيشان في أجنادين[3] التي تقع في منطقة الخليل، حيث أن الخليل تعتبر بوابة بيت المقدس، فما من حرب حاسمة منذ القدم إلا وتمر أولاً بمنطقة الخليل.

اصطف الروم مواكب وكتائب في صفوف متراصة، كل صف منهم ألف فارس، وقام الفارس المسلم القائد العام للجيوش في هذه المعركة بترتيب صفوف المسلمين كعادته، ميمنة وميسرة وقلباً وجناحين، فجعل في القلب معاذ بن جبل، وفي الميمنة عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، وفي الميسرة سعيد بن عامر، وفي الجناح الأيسر شرحبيل بن حسنة، وفي الساقة يزيد بن أبي سفيان ووقف هو في القلب، ومعه عمرو بن العاص، ومع النساء كانت خولة بنت الأزور، فكان دور النساء في المعارك القتال والدفاع عن أنفسهن، ورد الهاربين والضعفاء إلى ارض المعركة.

---

(1) الواقدي،ج1، سبق ذكره ص 325.

(2) نفس المصدر، ص 326.

(3) أجنادين، موقع في فلسطين، يقع في الجهة الجنوبية الغربية من مدينة الخليل، وهي قرية عجور المحتلة عام 1948م، فهناك موقعان بنفس الإسم تقريبا، وهما : جنابة الغربية، وأجنادين، تحريف لتثنية الموقعين، أي أجنادين، وتحتوي جنابه الغربية اليوم على جدران مهدمة وبقايا معصرة وصهاريج ن وتحتوي الشرقية على مغاور وأحواض (راجع مصطفى مراد الدباغ بلادنا فلسطين ص 260).

تصاف الجمعان، وقبل أن تبدأ المعركة، خرج شيخ من الروم يتكلم العربية، وخاطب خالد بن الوليد قائلا (أأنت أمير القوم؟) فقال خالد "كذلك يزعمون ما دمت على طاعة الله وسنة رسوله،وإن أنا غيّرت أو بدلت فلا إمارة لي عليهم ولا طاعة" عندها قال الرومي بدهاء وحنكة:

(بهذا نصرتم علينا، اعلم أنك توسطت بلاداً ما جسر ملك من الملوك أن يتعرض لها أو يدخلها، وأن الفرس دخلوها ورجعوا خائبين، ولكنكم أنتم نصرتم علينا، وأن النصر لا يدوم لكم،وصاحبي وردان قد أشفق عليكم وقد بعثني إليكم وقال: أنه يعطي كل واحد منكم ديناراً وثوباً وعمامةً، ولك أنت مائة دينار، ومائة ثوب، ومائة عمامة، وارحل عنا بجيشكم، فإن جيشنا على عدد الذر، ولا تظن أن هؤلاء مثل من لقيت من جموعنا،فإن الملك ما أنفذ في هذا الجيش إلا عظماء البطارقة والأساقفة.

قال خالد: والله ما نرجع إلا بإحدى ثلاث خصال: إما أن تدخلوا في ديننا، أو تؤدوا الجزية أو القتال، وأما ما ذكرت من أنكم عدد الذر، فإن الله تعالى قد وعدنا النصر على لسان محمد (ﷺ) وأنزل ذلك في كتابه العزيز، وأما ما ذكرت من أن صاحبكم يعطي كل واحد منا ديناراً وعمامةً وثوباً، فعن قريب إن شاء الله، نرى ثيابكم وبلادكم وعمائمكم كل ذلك في ملكنا وبأيدينا[1]

كان الجيشان متقابلان، وكل منهما ينظر إلى نفسه نظرة تفوق على الآخر، فجيش الروم قد غرّه كثرة عدده، وامتياز عدده، واستخفافه بخصمه العربي المسلم. أما جيش المسلمين فقد كان مسلحا بسلاح الإيمان واثق بالنصر من الله، وقد ابتدأ الرومان برمي السهام على المسلمين فقتلوا وجرحوا كماً من المسلمين، فحمل المسلمون عليهم، واخترق صفوفهم الفارس المغوار الذي أبلى بلاء حسنا كما أبلى في المعارك السابقة، ألا وهو ضرار بن الأزور، والذي قتل همدان بن وردان وقد شق الصفوف وأباد من الروم العشرات.

كانت هذه المعركة تمتاز بروح المبارزة بين القادة المسلمين والبطارقة الرومان، وبينما هم في الحرب شاهد خالد بن الوليد عشرة من البطارقة يخرجون للمبارزة، فانتدب عشرة من قادة المسلمين لملاقاتهم، والتحموا معهم، فقتل عشرة من البطارقة، ونجا وردان، وقد كانت الدائرة هذا اليوم على الروم، حيث قتل منهم ثلاثة آلاف فارس، ومن هؤلاء الفرسان كوكب صاحب أرض البلقاء ولاوي بن حنا صاحب غزه.

استمرت المعركة حامية الوطيس بين الفرسان من كلا الجانبين، وأيقنوا أنهم لا قدرة لهم على مجابهة المسلمين، فقام أحد الرومان وقال لوردان "اعلم أنك قد بليت بقوم لا تقوم لقتالهم وقد رأيت الواحد منهم يحمل على عسكرنا ولا يبالي من أحد، ولا يرجع حتى يقتل منهم، وقد قال لهم نبيهم، إن

(1) الواقدي، سبق ذكره، ص 227.

من تقتل منكم صار إلى الجنة، وانتهى الأمر بأن يدبروا لقائد المسلمين مكيدة يقتلونه، فبعث وردان أحد متنصرة العرب إلى خالد، بأن يجتمع الاثنان في موقع من أرض المعركة، وقد أعد وردان عشرة من رجاله في كمين يختبئون فيه، فإذا استدعاهم وردان هجموا على خالد وقتلوه، وقد نقل هذا الخبر العربي المتنصر، وأعلم خالدا بالمكيدة، فقال ضرار بن الأزور أنا لهم. فهيأ عشرا من رجاله وسرى ليلا على موقع الكمين، فانقض عليهم وقتلهم، وانتظر إلى حضور وردان على أمل أن يغدر بخالد أصحابه، فلما اجتمعا واطمأن وردان إلى حيلته صاح برجاله، فإذا بضرار بن الأزور ومن معه ينقضون على وردان ويقتلونه.

حيث أننا ما دمنا في هذا المقام، كان لا بد لنا من أن نعرِّج على ما أورده المؤرخ الكبير المبرد في كتابه (الكامل) عن هذه الوقعة، وكيف أن التربية الخلقية والسلوك والدين الذي كان يتمسك به المسلمون، كان السبب المباشر في إنجاح المعارك، وانتصار المسلمين على أعدائهم الكفار، حيث قال (اجتمعت الروم بأجنادين وعليهم التذارق أخو هرقل لأبويه، وقيل كان على الروم القلقدار، وكان قد بعث أحد المتنصرة العرب ليكشف حال المسلمين، فأقام يوما وليلة عندهم وعاد بخبر، حيث سأله القائد الروماني قائلا له: ما وراءك0 قال: هم فرسان في النهار رهبان في الليل فلو سرق بن ملكهم قطعوه، ولو زنا رجموه لإقامة الحد فيهم، فقال إن كنت صدقتني لباطن الأرض خير من لقاء هؤلاء)[1]

حمل خالد بن الوليد وأبو عبيده على جموع الروم المنهزمين، فاتجه قسم منهم صوب غزة، والصوب الآخر إلى دمشق وقيسا ريه.[2]

أوفد خالد بن الوليد برسالة إلى الخليفة أبي بكر الصديق، يعلمه فيها أنه استشهد في اليومين الأول والثاني من المعركة أربعمائة وخمسون من المسلمين، وقتل من الروم أعداد كبيرة جداً، وأن الغنائم في هذه المعركة كانت لا تحصى، غير أن خالداً رفض تقسيمها إلا بعد أن يكمل فتح دمشق.

كانت وقعة أجنادين في سنة ثلاث عشرة لليلتين بقيتا من جمادى الأول.[3]

المطلب الرابع: سياسة الفتوحات الإسلامية في فلسطين

لم تكن معركة أجنادين، هي المعركة النهائية بين المسلمين والروم في فلسطين، بل تبعتها عدة معارك، حتى اكتمل للمسلمين الفتوحات في هذه الديار، وإن كانت هذه المعركة من المعارك الفاصلة، بيد أنه أصبح للمسلمين موطأ قدم كبير في فلسطين، وأصبحت الجبهات الأخرى تحت ضربات

(1) المبرد، الكامل، ج2، ص 265.

(2) المصدر نفسه، ص 59.

(3) الطبري، تاريخ الطبري، ج2، سبق ذكره، ص 247.

الفاتحين، فكان لا بد من امتداد الفتوحات في أرجاء فلسطين شرقاً وغرباً حتى تتم لهم السيطرة التامة على جميع أرجائها، وتتم تصفية العنصر الروماني الحاكم من هذه البلاد، ويبقى عنصر النقاء العربي بعقيدة الإسلام هو المظهر المسيطر على هذه البلاد0 توجه المسلمون شمالاً حتى وصلوا منطقة بيسان بالقرب من نهر الأردن، حيث قام الرومان بتفجير مياه نهر الأردن، وأحالوا الأرض إلى سبخة غاصت فيها أقدام خيول المسلمين، لتكون لهم عائقاً في وجه الرومان الذين انحازوا إلى الشرق، وقد لقى المسلمون عناءً شديداً في هذه المنطقة، لكن إرادة الله (سبحانه وتعالى) قد أنقذت المسلمين، وأنقذت خيولهم، وتجاوزوا هذا المأزق، حتى وصلوا إلى منطقة فحل في الأردن، وهي تلة تقع مقابل بيسان، في الجهة الشرقية لنهر الأردن، وجنوبي جسر المجامع.

فاجأ المسلمون الروم على حين غرة، وكان القتال في فحل شديداً، وقد أصيب قائد الرومان سقلاّر بن خراق، وفي اليوم التالي أصبح الرومان في حيرة كبيرة، فأسلمتهم هزيمتهم للوحل الذي صنعوه بأيدهم، وتحول إلى مقبرة لهم ولخيولهم، فلحق بهم المسلمون ووخزوهم بالرماح، وتمكنوا من قتل الألوف منهم، وتعرف معركة فحل أيضا بيوم الردغة، أي(أرض الوحل) أي أن هزيمة الروم كانت في فحل ومقتلهم في الرداغ.

توجه القادة بعد معركة فحل بمن معهم من الجيوش إلى مواقع جديدة، وشكلوا جبهتين إحداهما الجبهة الشرقية في بلاد الشام، وكان القائدان، أبو عبيده عامر بن الجراح وخالد بن الوليد، حيث توجهوا صوب حمص، أما الجبهة الغربية في فلسطين، فقد كانت بقيادة عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة، حيث قاموا بمحاصرة بيسان، فقام أهلها بعقد صلح مع المسلمين.[1]

في الوقت الذي كان فيه المسلمون يحاصرون بيسان، وقد استجاب أهلها للصلح، وتم عقده مع المسلمين، كان أبو الأعور السلمي، يحاصر مدينة طبرية الواقعة على بحيرة طبريا من الجهة الغربية، فلما أدرك أهلها بأن أهل بيسان عقدوا صلحا مع المسلمين، بادروا إلى عقد صلح على غراره، ونزل القادة في المدائن والقرى فكتبوا إلى الخليفة بالفتح.

لم يستسلم الروم من ناحيتهم، فعادوا يجمعون جيوشهم. وكان ملكهم الأرطبون قد جمع جيوشه، وأنزل بالرملة جنداً عظيماً، وكذلك في بيت المقدس، وبعث بن العاص علقمة بن حكيم الفراسي ومسروق بن العكي لقتال بيت المقدس، وبعث أيوب المالكي لقتال أهل الرملة، ثم زحف هو للقاء الأرطبون، وقد انهزم الأرطبون، وانسحب نحو بيت المقدس، وعادت جيوش المسلمين تجتمع في

(1) المصدر نفسه ص 360.

أجنادين جنوبي بيت المقدس، ومن هناك توجه عمرو بن العاص لفتح الساحل الجنوبي، وباقي المدن، ففتح غزه وسبسطيه ونابلس واللد وعمواس وبيت جبرين ويافا ورفح[1].

كما أن (البلاذري)و ضّح في كتابه "فتوح البلدان" أمر فلسطين، وكيف أنها دالت للمسلمين حيث ذكر قائلا "حدثني أبو حفص الدمشقي، عن سعيد بن عبد العزيز عن أشياخه وعن بقية بن الوليد عن مشايخ من أهل العلم قالوا: كانت أول وقعة واقعها المسلمون الروم في خلافة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) أرض فلسطين، وعلى الناس عمرو بن العاص، ثم إن عمرو بن العاص فتح غزة في خلافة أبي بكر (رضي الله عنه) ثم فتح بعد ذلك سبسطية ونابلس على أن أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم، وأن الجزية على رقابهم، والخراج على أرضهم، ثم فتح مدينة لد وأرضها، ثم فتح يبنى، وعمواس، وبيت جبرين، واتخذ بها ضيعة تدعى عجلان، باسم مولى له وفتح يافا، يقال فتحها معاوية، وفتح عمرو رفح على مثل ذلك، وقدم عليه أبو عبيدة بعد أن فتح قنسرين ونواحيها.[2]

فمهما يكن من أمر، من تقديم أو تأخير في البلدان التي تم فتحها، فإن الواقع التاريخي يدلنا على أن الفاتح الحقيقي لهذه الديار من بلاد فلسطين، هو المجاهد الصحابي عمرو بن العاص.

نستدل بأن فلسطين قد صار معظمها للمسلمين، ولم يبق سوى الجزء الشمالي، مثل قيسارية وبيت المقدس، حيث أصبحت لقمة سائغة للمسلمين هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإنه يجب علينا أن نتفهم بأن الرومان، كانوا عبارة عن محتلين، ولم يكونوا هم أهل البلاد، بل أن البلاد كانت لأبناء هذه الأمة العربية، وقد أفرزوا أنفسهم عن الرومان، وكانوا يعقدون الصلح مع المسلمين، غير آبهين بحكام الرومان، الذين كانوا عبارة عن عنصر محتل لهذه البلاد،حيث دخلوا الإسلام الذي أصبح الدين السائد في هذه البلاد بدون إكراه.

المطلب الخامس: معركة اليرموك

توجهت جيوش المسلمين صوب الشمال ميممةً بلاد الشام حيث أن النبي (ﷺ) قد بادر بهذا الاتجاه، كما شُكلّت فرقة بقيادة خالد بن الوليد لفتح بلاد العراق. وإنما نستدل بهذه الأحداث ما أورده المؤرخ الكبير الطبري في كتابه "تاريخ الرسل والملوك" حيث جاء فيه "كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن مبشر وسهل، وأبي عثمان،وعن خالد وعبادة وأبي حارثه، قالوا: وأوعب القواد بالناس نحو الشام وعكرمة ردءاً للناس،وبلغ الروم ذلك، فكتبوا إلى هرقل، وخرج هرقل حتى نزل بحمص، فأعد لهم الجنود، وعبأ لهم العساكر،وأراد اشتغال بعضهم عن بعض لكثرة جنده، وفضول رجاله، وأرسل إلى

(1) ابن خلدون، المقدمة، المجلد الثاني، سبق ذكره، ص 948و949.

(2) البلاذري، سبق ذكره، ص 123.

عمرو أخاه (تذارق) لأبيه وأمه، فخرج نحوهم في تسعين ألفا، وبعث من يسوقهم، حتى نزل صاحب الساقة ثنية جلق بأعلى فلسطين وبعث جرجه بن توذرا نحو يزيد بن أبي سفيان فعسكر بإزائه، وبعث الدراقص فاستقبل شرحبيل بن حسنه، وبعث الفيقار بن نسطورس في ستين ألفا نحو أبي عبيدة، فهابهم المسلمون، وجميع فرق المسلمين واحد وعشرون ألفا، سوى عكرمة في ستة آلاف، ففزعوا جميعا بالكتب والرسل على عمرو: أن ما الرأي !؟ فكاتبهم وأرسلهم: إن الرأي الاجتماع، وذلك أن مثلنا إذا اجتمع لم يغلب من قلة، وإذا نحن تفرقنا لم يبق الرجل منا في عدد يقرن[1] فيه لأحد ممن استقبلنا وأعد لنا لكل طائفة منا، فاتعدوا اليرموك ليجتمعوا به، وقد كتب إلى أبي بكر بمثل ما كاتبوا به عمراً، فطلع عليهم كتابه بمثل رأي عمرو، بأن اجتمعوا فتكونوا عسكراً واحداً، والقوا زحوف المشركين بزحف المسلمين، فإنكم أعوان الله، والله ناصر من نصره، وخاذل من كفره، ولن يؤتى مثلكم من قلة، وإنما يؤتى العشرة آلاف والزيادة على العشرة آلاف إذا أتوا من تلقاء الذنوب، فاحترسوا من الذنوب، واجتمعوا باليرموك متساندين وليصل كل رجل منكم بأصحابه.

بلغ ذلك هرقل، فكتب إلى بطارقته: أن اجتمعوا لهم، وانزلوا بالروم منزلاً واسع العطن، واسع المطرد، ضيّق المهرب، وعلى الناس التذارق وعلى المقدمة جرجه، وعلى مجنبتيه باهان والدراقص، وعلى الحرب الفيقار، وابشروا فإن باهان في الأثر مدد لكم. ففعلوا، فنزلوا الواقوصة وهي على ضفة اليرموك، وصار الوادي خندقا لهم، وهو لهب[2] لا يدرك، وإنما أراد باهان وأصحابه أن تستفيق الروم ويأنسوا بالمسلمين وترجع إليهم أفئدتهم عن طيرتها.

انتقل المسلمون عن عسكرهم الذي اجتمعوا فيه، فنزل عليهم بحذائهم على طرقهم، وليس للروم طرق إلا عليهم. فقال عمرو: أيها الناس، أبشروا، حصرت والله الروم، وقلما جاء محصور بخير ! فأقاموا بإزائهم وعلى طريقهم، ومخرجهم صفر من سنة ثلاث عشرة وشهري ربيع الأول، لا يقدرون من الروم على شيء ولا يخلصون إليهم، اللهب – وهو الواقوصة _ من ورائهم، والخندق أمامهم، ولا يخرجون خرجة إلا أديل المسلمون منهم، حتى سلخوا شهر ربيع الأول، وقد استمدوا أبا بكر وأعلموه الشأن في صفر فقال – خالد لها –،فكتب إليه ليلحق بهم، وأمره أن يخلف على العراق المثنى، فوافاهم في ربيع[3].

---

(1) –يقال أقرن له: إذا غلب عليه. .

(2) اللهب : الفرجة بين جبلين .

(3) الطبري، تاريخ الطبري، سبق ذكره ص 604.

وكانت النتيجة العظيمة أن هذه المعركة الحاسمة كانت لصالح الإسلام والمسلمين.

ولا بد من ذكر هذه الحادثة بهذه المناسبة، أن أحد نصارى العرب قد أنقذ خالد بن الوليد من مكيدة الروم، إذ أنه بعدما يئس الروم من مقابلة الجيش المسلم عسكريا،وكان (وردان) هو القائد الروماني، فقد فكر هو ومستشاروه بأن يغدروا بخالد بن الوليد ويوقعوه في كمين،حيث اتفق البطارقة على مكيدة تمكنهم من قتل خالد بن الوليد،بحيث يطلبون منه الصلح، وعندما يتقدم بشخصه لإبرام هذا الصلح ينقض عليه كمين فيفتكون به،إلا أن هذا الرجل النصراني العربي الذي آل على نفسه إلاّ أن يكون مخلصاً لوطنه وعروبته وقوميته قد آثر على نفسه ألا يقع خالد في حبال مكيدتهم، فانبرى إلى خالد بن الوليد وأبلغه بمكيدة الروم له،إلا أن هذه المكيدة انقلبت على رأس مدبريها. فهذه مواقف يجب ألا تنسى، وتذكر بأنها من الثوابت التي تجمع هذه الأمة وتوحد كيانها وفكرها ضد عدوها الخارجي مهما كانت انتماءاته.

"بعد معركة فحل شطر جيش المسلمين إلى شطرين،أحدهما بقيادة أبي عبيدة لفتح الشام، والآخر بقيادة عمرو بن العاص لرفع راية الإسلام في فلسطين وانتشر إلى خمس حملات فتولى:

1- معاوية بن أبي سفيان واخوه يزيد قيادة الحملة التي أرسلت إلى قيسارية.

2- علقمة بن حكيم ومسروق بن فلاك العكي قيادة الحملة الموجهة للقدس لمنازلة حاميتها.

3- أيوب المالكي، قيادة الحملة التي أرسلت إلى الرملة.

4- علقمة بن مجزز قيادة الحملة التي ارسلت إلى غزة.

5- عمرو بن العاص تولى محاصرة(أجنادين[1]".[2]

---

(1) هي منطقة رملية بين مدينتي الرملة وبيت جبرين، وقد طمست معالمها مع الزمن، وعلى رأي الأستاذ أحمد سامح الخالدي (راجع شرحه لمثير الغرام ص 13) أنها هي الخربة المعروفة بالجناين بالقرب من الرملة. والواقع أن أجنادين هي بالقرب من قرية عجور الواقعة في منطقة الخليل.

(2) العارف، المفصل في تاريخ القدس، سبق ذكره ص 86 .

المبحث الثاني

عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)

المطلب الأول: مراسلات الخلفاء الراشدين والقادة الميدانيين لفتح بيت المقدس

بعد أن تم للمسلمين فتح مدن الشام، وتسليم حامياتها للفاتحين المسلمين، بقي حصنان منيعان أمام المسلمين، وهما بيت المقدس وقيسارية. أما الحصن الأول فقد التجأ إليه الرومان لما له من أهمية عقدية ومركزية في نفوس النصارى وأما الحصن الثاني،قيسارية، فلموقعه الإستراتيجي على البحر، وإمكانية إمداده من البحر، ولهذا فقد وقف الفاتحون المسلمون على بابي هذين الحصنين بانتظار التوجيهات من القيادة العليا في المدينة المنورة.

جمع أبو عبيدة عامر بن الجراح، قادة الجند وعرض عليهم أمر الفتوحات، قائلا: لقد فرغنا من أمر دمشق، فأشيروا عليّ بما أصنع، وأين أتوجه؟فأشاروا عليه، إما بيت المقدس، وإما قيسارية، بيد أن معاذ بن جبل أشار عليه أن يستشير الخليفة عمر بن الخطاب، فاستجاب لهذه المشورة، وكتب كتاباً إلى عمر بن الخطاب في المدينة المنورة، وأوفده مع عرفجة بن ناصع النخعي، حيث أمره بالسير، وتسليمه للخليفة عمر لإصدار أمره بالفتوحات.

جمع عمر بن الخطاب المسلمين، وعرض عليهم الأمر، وكان على رأس المستشارين عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، فقال علي بن أبي طالب لعمر بن الخطاب (يا أمير المؤمنين مر صاحبك أن يسير إلى بيت المقدس، فيحدقون بها ويقاتلون أهلها فهو خير الرأي، وأكبره وإذا فتحت بيت المقدس، فاصرف جيشه إلى قيسارية، فإنها تفتح بعدها إن شاء الله تعالى، كذا أخبرني رسول الله (ﷺ) قال صدقت يا أبا الحسن)[1].

بعد أن تم لأبي عبيدة الإذن بالتوجه إلى بيت المقدس، قام باستدعاء القادة وعقد لخالد بن الوليد الراية، وأمّره على خمسة آلاف فارس، وطلب التوجه إلى بيت المقدس، كما دعا يزيد بن أبي سفيان، وضم إليه خمسة آلاف فارس أيضا، وأتبعه لخالد، وقال له: يا ابن أبي سفيان ما علمتك إلا ناصحا، فإذا أشرفت على إيليا فارفعوا أصواتكم بالتهليل والتكبير، واسألوا الله بجاه نبيه ومن سكنها، من الأنبياء والصالحين، أن يسَّهل فتحها على أيدي المسلمين، فأخذ يزيد الراية، وتوجه إلى بيت المقدس، ثم دعا

(1) الواقدي، سبق ذكره، ص 151و 152.

شرحبيل بن حسنه، والمرقال بن هاشم بن عتبه، ومسيب بن نجبه الفزاري، وقيس بن المروي، وعروه بن المهلهل، وعقد لكل منهم الراية وخمسة آلاف مقاتل.[1]

كان أبو عبيدة قائد هذه الجيوش، فسار (رضي الله عنه) حتى أتى الأردن فعسكر بها، وبعث الرسل إلى أهل إيليا، وكتب إليهم (بسم الله الرحمن الرحيم: من أبي عبيدة بن الجراح إلى بطارقة أهل إيليا وسكانها، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله وبالرسول، أما بعد: فإنا ندعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا ألله وأن محمدا رسول الله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، فإن شهدتم بذلك، حرمت علينا دماؤكم وأموالكم وذرا ريكم، وكنتم لنا إخوانا، فإن أبيت فأقروا لنا بأداء الجزية عن يد وأنتم صاغرون، وإن أبيتم سرت إليكم بقوم هم أشد حباً منكم لشرب الخمر وأكل لحم الخنزير، ثم لا أرجع عنكم إن شاء الله تعالى أبداً حتى أقتل مقاتليكم وأسبي ذراريكم.[2]

وكتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه (بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عمر أمير المؤمنين، من أبي عبيدة بن الجراح، سلام عليك، فإني أحمد الله تعالى إليك الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فالحمد لله الذي أهلك المشركين ونصر المسلمين، وقد نما ما تولى الله أمرهم، وأظهر فلاحهم وأعز دعوتهم، فتبارك الله رب العالمين، أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله، إنا لقينا الروم وهم جموع لم تلق العرب مثلها جموعاً،فأتونا وهم يرون لا غالب لهم من الناس أحد، فقاتلوا المسلمين قتالاً شديداً ما قوتل المسلمون مثله في موطن قط، ورزق الله المؤمنين النصر، وأنزل عليهم الصبر فقتلهم الله تعالى في كل قرية وفي كل شعب وواد وجبل وسهل، وغنم الله المسلمين عسكرهم، وما كان فيهم من أموالهم ومتاعهم، ثم أني تبعتهم بالمسلمين، حتى بلغت أقصى بلاد الشام، وقد بعثت إلى أهل الشام عمالي، وقد بعثت إلى أهل إيليا أدعوهم إلى الإسلام، فإن قبلوا، وإلا فليؤدوا الجزية إلينا عن يد وهم صاغرون، فإن أبو، سرت إليهم، حتى أنزل بهم ثم لا أزيلهم، حتى يفتح الله تعالى على المسلمين إن شاء الله تعالى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتب إليه عمر بن الخطاب (بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله أمير المؤمنين، عمر بن الخطاب، إلى أبي عبيدة بن الجراح، سلام عليك فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فقد أتاني كتابك،وفهمت ما ذكرت فيه من إهلاك الله المشركين ونصرة المؤمنين، وما صنع بأوليائه، وأهل طاعته، والحمد لله على حسن صنيعه إلينا، وسيتم الله تعالى ذلك بشكره، ثم اعلموا أنكم لم تظاهروا على عدوكم بعدد ولا قوة ولا حول، ولكن بعون الله ونصره ومنه وفضله، فلله الطول والمنة والفضل

(1) المصدر نفسه ص، 159.

(2) الحنبلي، الأنس الجليل، سبق ذكره،ج1، ص 247.

العظيم، فتبارك الله أحسن الخالقين، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليك[1] كان أبو عبيدة في انتظار الجواب من عمر في الجابية، فلما ورد مع عرفجة وقرأه على الجند فرحوا فرحاً شديداً بتوجيهات الخليفة لفتح بيت المقدس.

استخلف أبو عبيده على دمشق، سعيد بن زيد فقام هو بحصار القدس، وضيق على أهلها، وأبو أن يصالحوه، حيث تولى قتالهم من جبهتين، خالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان، ولما بلغ الخبر سعيد بن زيد في دمشق، بعث إلى أبي عبيدة الكتاب التالي: (بسم الله الرحمن الرحيم، إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح من سعيد بن زيد، سلام عليك، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو إليك، أما بعد: فإني لعمري ما كنت لأوثرك وأصحابك بالجهاد على نفسي، وعلى من يدنيني من مرضاة ربي، أتاك كتابي هذا، فابعث إلى عمالك من هو أرغب فيه، فليَلِه ما بدا لك، فإني قادم إليك وشيكاً،إن شاء الله تعالى، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته[2].

أدرك أبو عبيدة أن مجيْ سعيد بن زيد، سيترك دمشق فراغاً خلفه، وخشي من ظهور قوة الروم، إذا لم يقم بتولية والي عليها، فأرسل يزيد بن أبي سفيان إلى دمشق.

حاصر أبو عبيدة القدس، وأصرَّ على فتحها وأنه غير مغادرها، فأرسل إلى حاكم المدينة بأنه غير مغادر المدينة حتى يفتحها، وأنه غير مقلع عنهم، ولم يجدوا لهم طاقة بفتح الأسوار أو إرسال المدد لهم من الروم خارج المدينة، فطلبوا منه أن يرسل إليهم الخليفة، حتى يعطيهم الأمان، وفي هذه الفترة كان قد همّ بإرسال معاذ بن جبل ليكون واليا على الأردن، فأشار عليه بأن يأخذ على أهل القدس العهود والمواثيق، حتى لا يكون مجيء الخليفة فضلاً وعناءً،قبل أبو عبيدة هذه المشورة وأخذ عليهم العهود والمواثيق.

كتب أبو عبيدة إلى الخليفة عمر بن الخطاب في المدينة، يطلب منه الحضور شخصياً إلى القدس، ليكون الصلح على يديه.

كتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله أمير المؤمنين من أبي عبيدة عامر بن الجراح، سلام عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو،أما بعد: فإنا أقمنا على أهل إيليا، فظنوا أن لهم في مطاولتهم فرجاً فلم يزدهم الله بهذا إلا ضيقا ونقصاً وهزالاً وذلاً، فلما رأوا ذلك، سألوا أن يقدم عليهم أمير المؤمنين فيكون هو الموثوق لهم، والكاتب فخشينا أن يقدم أمير المؤمنين فيغدر القوم، ويرجعوا فيكون مسيرك: أصلحك الله – عناءً وفضلاً، فأخذنا عليهم

(1) الحنبلي، الأنس الجلي، سبق ذكره، ص 248.

(2) المصدر نفسه، ص 250.

المواثيق المغلظة بإيمانهم، ليقبلن وليؤدن الجزية وليدخلن فيما دخل فيه أهل الذمة ففعلوا، فإن رأيت أن تقدم فافعل، فإن في مسيرك أجراً وصلاحاً أتاك الله رشدك ويسر أمرك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته)[1]

بعث أبو عبيدة وفداً إلى عمر بن الخطاب يحمل الرسالة، كما أن الروم قد بعثوا وفدا آخر ليقابل الخليفة، ويأخذ منه المواعيد والمواثيق بالحضور إلى القدس، لعقد الصلح وإعطاء الأمان. وصل الوفدان المدينة، وأخذ الروم يبحثون عن الخليفة على أمل أن يجدوه في أحد القصور، لكنهم وبعد جهد، عثروا عليه في حالة على غير حالة القياصرة والأكاسرة، فازدادوا عجباً من أمره وأيقنوا أن هذا هو الفاتح الحقيقي لبيت المقدس.

فاستشار عمر الناس، فأشار عثمان بن عفان بأن لا يركب إليهم ليكون أحقر لهم وأرغم لأنوفهم، وأشار علي بن أبي طالب بالمسير إليهم، ليكون أخف وطأة على المسلمين في حصارهم بينهم. فهوى ما قال علي: ولم يهو ما قال عثمان، وسار بالجيوش نحوهم، واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب بن عم رسول الله (ﷺ) وسار العباس بن عبد المطلب على مقدمته، فلما وصل إلى الشام، تلقاه أبو عبيدة ورؤوس الأمراء، كخالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان، فترجل أبو عبيدة وترجل عمر وسلما على بعضيهما[2].

وفي رواية أخرى، عن قصة مغادرة عمر بن الخطاب المدينة، حيث استخلف عليها علي بن أبي طالب، بعد أن عذله في مسيره، فأبى، وقد كان واعدَ أمراء الأجناد هنالك، فلقيه يزيد ثم أبو عبيدة ثم خالد على الخيول عليهم الديباج والحرير، فنزل ورماهم بالحجارة، وقال: أتستقبلونني في هذا الزي؟ وإنما شبعتم منذ سنتين، والله لو كان على رأس المائتين لاستبدلت بكم: قالوا: إنها بلا ثمن، وأن علينا السلاح، فسكت ودخل الجابية.[3]

اجتمع عمر بن الخطاب مع أمراء الجند في الجابية الذين استخلفوا من ينوب عنهم، فتخلف عن هذا الاجتماع عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة، لأنهما كانا أمام الأرطبون في فلسطين.

توجه بعدئذ الخليفة بصحبة الجند والقادة صوب بيت المقدس، فلما شاهده جنود المسلمين قد أقبل عليهم، بدأوا بالتهليل والتكبير، فجاوزت مسامع بطريرك الروم، فأوفد رجلاً يستطلع هذا الخبر، وعاد إليه مخبراً بأن الخليفة عمر قد وصل إلى أكناف القدس.

---

(1) االمصدر نفسه، ص 250.

(2) ابن كثير، سبق ذكره، ج7،ص 55.

(3) ابن خلدون، المقدمة، ص، 519.

نستدل بهذا الشأن، أن المقدمات لفتح بيت المقدس حدث مميز، وأن المراسلات التي جرت بين القادة الميدانيين والقائد العام في المدينة المنورة، قد استغرق جهداً عظيماً ومشاورات كثيرة وآراء متعددة، وأن هذا الفتح العمري يعتبر فتحاً مميزاً وخاصاً بهذه المدينة التي امتازت به عن غيرها من المدن، التي تم فتحها في جميع الفتوحات الإسلامية. وهذه الميزة والخصوصية لما لبيت المقدس من أهمية في العقيدة الإسلامية، ولما لها من أهمية ميزتها عن غيرها، لتكون ذات ركيزة في العقيدة الإسلامية، وليتمسك بها المسلمون، ولا يجوز التفريط فيها، أو التنازل عنها، لأنها ترتبط بالعقيدة الإسلامية، فتم فتحها الروحي ابتداءً على يدي المصطفى (ﷺ)، وأولتها العقيدة الإسلامية الاهتمام العظيم، لأن بها أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، ولأنها عقر دار الإسلام،فالتمسك بالقدس وبمقدساتها يعتبر بحق من لباب العقيدة الإسلامية، وأي تفريط فيها أو التنازل عنها، يعتبر تفريطاً بأقدس المقدسات.لأن من يملك مفاتيح القدس، يملك مفاتيح فلسطين، ومن يملك مفاتيح فلسطين، يسيطر على مقدرات العالم العربي والإسلامي، لأنها تقع في قلب هذه الأمة، وما الاهتمام والغزو الغربي لهذه البلاد سواء في العصور القديمة، أو في الحروب الصليبية، أو الدعم اللامتناهي للكيان الصهيوني في العصر الحديث، والوقوف بجانبه، إلا سلسلة من الحلقات التآمرية على هذه الأمة، وستبقى القدس هي العنوان والرمز والبوصلة، التي تتوجه إليها أنظار العالم على مر الزمان.

المطلب الثاني: ذكر دخول عمر بن الخطاب بلاد الشام

قال سيف بن عمر عن شيوخه. وقد دخل عمر الشام أربع مرات. الأولى كان راكباً فرساً حين فتحت بيت المقدس، والثانية على بعير وصل إلى سرغ ثم رجع لأجل ما وقع بالشام من الوباء، والرابعة دخلها على حمار، هكذا نقله بن جرير عنه [1].

دخل عمر بن الخطاب من الباب الذي دخل منه رسول الله (ﷺ) ليلة الإسراء، ويقال أنه لبى حين دخل بيت المقدس، فصلى فيه تحية المسجد بمحراب داود، وصلى بالمسلمين فيه صلاة الغداة من الغد، فقرأ في الأولى سورة (ص) وسجد فيها والمسلمون معه، وفي الثانية سورة بني إسرائيل، ثم جاء إلى الصخرة فاستدل على مكانها من كعب الأحبار، وأشار عليه كعب أن يجعل المسجد من ورائه، فقال: ضاهيت اليهود، ثم جعل المسجد في قبلي بيت المقدس، وهو العمري اليوم، ثم نقل التراب في طرف ردائه وقبائه، ونقل المسلمون معه في ذلك وسّخر أهل الأردن في نقل بقيتها، وقد كانت الروم جعلوا الصخرة مزبلة لأنها قبلة اليهود، حتى أن المرأة كانت ترسل خرقة حيضها من داخل الحوز لتلقى في الصخرة وذلك مكافأة لما كانت اليهود عاملت به القمامة، وهي المكان الذي كانت اليهود صلبوا فيه

(1) ابن كثير، مصدر سابق، ج1، ص 55 .

المصلوب، كما يعتقدون، فجعلوا يلقون على قبره القمامة فلأجل ذلك سمي الموضع القمامة، وانسحب الإسم على الكنيسة التي بناها النصارى هناك. وقد كان هرقل حين جاءه الكتاب النبوي وهو بإيليا وعظ النصارى فيما كانوا قد بالغوا في إلقاء الكناسة على الصخرة حتى وصلت إلى محراب داود، وقال لهم: إنكم لخليق أن تقتلوا على هذه الكناسة مما امتهنتم هذا المسجد كما قتلت بنو إسرائيل على دم يحي بن زكريا، ثم أمروا بإزالتها، فشرعوا في ذلك، فما أزالوا ثلثها حتى أزالها المسلمون، فأزالها عمر بن الخطاب، وقد استقصى هذا كله وبأسانيده ومتونه، الحافظ بهاء الدين بن الحافظ أبي القاسم بن عساكر في كتاب (المستقصى في فضائل المسجد الأقصى)، وذكر سيف في سياقه أن عمر ركب من المدينة على فرس.[1]

هكذا فإن عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) دخل في حياته بلاد الشام أربع مرات وقد دخل بيت المقدس بعد أن قامت جيوش الفتح الإسلامي بتصفية حكم الرومان من أرجاء بلاد الشام، وكان آخر المعاقل بيت المقدس وقيسارية، الأولى لوضعها العقدي في نفوس أصحاب الديانة النصرانية وأنهم لم يبرحوها إلا بعد أن أدركوا أنه لا مجال أمامهم من الاستسلام، لأن إصرار المسلمين على فتحها كان عظيماً، وأن المسلمين لن يتركوها في يد الرومان، أما قيسارية فلموقعها الإستراتيجي وإمكانية إمدادها من البحر من الغرب الروماني وأخيراً تم الجلاء عنها.

دخل عمر (رضي الله عنه) بيت المقدس وكان أول إجراء قام به ألا وهو زيارة الأماكن المقدسة لدى النصارى، فأدركه وقت الصلاة فلم يصلي في الكنيسة بل صلى خارجها، في الموضع الذي يقال له مسجد عمر بالقرب من كنيسة القيامة، وهذا من عدالة الإسلام، حتى لا يتخذ المسلمون من مكان صلاة خليفتهم مصلى داخل الكنيسة، ويجنب الفئتين الصراع العقائدي على مدى الأزمان، فهو خليفة عادل، لا يرغب في أن تكون الفتنة بين المسلمين والنصارى في بيت المقدس على موضع صلاته، فالكل حر في عقيدته ومكان عبادته، كما وضح ذلك في العهدة العمرية. كما أنه (رضي الله عنه) قد توجه إلى مكان المسجد الأقصى الحالي، وطلب من كعب الأحبار أن يدله على مكان الصخرة، ونصحه كعب بأن يبني مسجده في الجهة الشمالية، واضعاً الصخرة أمامه متجها صوب الكعبة من ذلك المكان، فرد عليه قائلا: لقد ضاهيت اليهود، وبنى المسجد باتجاه القبلة من الصخرة، حيث تم توسيعه فيما بعد، واحتواه المسجد الأقصى ذو الأروقة السبعة، فيكون بذلك،رضي الله عنه) بهذا العمل المتواضع الذي باشره بنفسه حيث أخذ يزيل الزبالة برداءه الشريف ويظهر مكان المسجد، الأسوة الحسنة والقدوة الخيرة المتواضع، التي تعمل بيدها مكانا للعبادة ومسجدا للمسلمين حيث دخل من المكان الذي دخل منه

(1) المصدر نفسه، ص 56.

رسول الله (ﷺ) إلى الأقصى ليلة الإسراء. وبهذا العمل الذي كان موضع صراع عقدي بين اليهود والنصارى، فقد حجب الشر بينهما حيث اتخذ النصارى من هذا المكان مكباً للنفايات ردا على عمل اليهود الذين اتخذوا من مكان كنيسة القيامة مكانا لرمي النفايات، حيث انتهت هذه الظاهرة بتحويل هذا المكان إلى مسجد مقدس تقام فيه الشعائر الدينية الإسلامية منذ تلك اللحظة حتى وقتنا الحاضر وإن انتابه بعض الأذى في فترة الحروب الصليبية إلا أنه مسجد إسلامي ولا خلاف على إسلاميته منذ الأزل وإلى الأبد، ومهما عبث به العابثون وحاول أعداء الإسلام قديما وحديثا في عهد الاحتلال الإسرائيلي من محاولات للنيل من إسلامية هذا المكان فسيبقى مسجدا إسلاميا تكلأه عناية الله وتحفظه رعاية رب العالمين، إن شاء الله، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

عاد عمر بن الخطاب لزيارة بيت المقدس المرة الثانية عام 17 هـ أي عام الرماده، إذ اجتاح بلاد الحجاز القحط والجفاف فهلكت الماشية، وأصاب القحط البلاد والعباد، فأوعز (رضي الله عنه) إلى عامليه أبي عبيدة عامر بن الجراح وعمرو بن العاص بإرسال الحبوب من بلاد فلسطين إلى الديار الحجازية، وكان ذلك عن طريق العقبة، أما بالنسبة إلى مجيئه فقد كان بسبب انتشار مرض الطاعون الذي داهم المسلمين من جند ومواطنين وصحابة، فمات من هذا المرض العديد من الصحابة وعلى رأسهم أبو عبيدة عامر بن الجراح، حيث أصابه طاعون عمواس هو وضرار بن الأزور ومعاذ بن جبل وآخرون، فقد حضر عمر لشد أزر المسلمين ومواساتهم وخوفا عليهم من طمع الرومان فيهم، بعد أن دحروهم عن بلاد الشام وآسى الثكلى والأرامل والأيتام وأغدق عليهم الأعطيات ونظم أمور الناس ومصالحهم وقفل عائداً إلى المدينة المنورة.بعد أن مكث ثلاثين يوما في بيت المقدس، وكان يصلي بالناس إماماً في المسجد الأقصى المبارك.

روى أنه لما أمر عمر(رضي الله عنه) بتنظيف المزبلة عن الصخرة قال: لا تصلوا فيها حتى يصيبها ثلاث مطرات، كما أنه من الأعمال الجليلة التي قام بها عمر بن الخطاب في هذه الجولة، أنه زار القادة في أماكن سكناهم، ما عدا أبي عبيدة عامر بن الجراح، حيث قال له، لم يبق أمير من أمراء الأجناد إلا استزارني، فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين، إني أخاف أن أستزيرك فتعصب عينيك في بيتي، قال: فاستزرني: قال: فزرني.

فلما أتاه عمر في بيته فإذا ليس فيه شيء إلا لبد فرسه، وإذا هو فراشه وسرجه وإذا هو وسادته، وإذا كسر يابسة في كوّة بيته فجاء بها فوضعها على الأرض بين يديه، وأتاه بملح جريش وكوز خزف فيه

ماء، فلما نظر عمر إلى ذلك بكى ثم التزمه، وقال: أنت أخي وما من أحد من أصحابي إلا وقد نال من الدنيا ونالت منه غيرك. فقال له أبو عبيدة: ألم أخبرك أنك ستعصب عينيك[1].

إننا الآن أمام قصة وخبر عن أبي عبيدة الذي استزاره الخليفة الراشد، فمهما يكن في هذه القصة من أمر، فلا غرابة فيها وأن أصحاب رسول الله (ﷺ) كانوا على درجة عالية من التقشف والعزوف عن الدنيا وطلبوا مثوبة الآخرة، ولا ضير في ذلك فأمين هذه الأمة لا غرابة أن يتقشّف وهو فاتح بلاد الشام وفارس وخاض المعارك الحاسمة في تاريخ الإسلام ليس همه البذخ والرفاء، بل همه نشر الإسلام ومقارعة أعداء الله ونشر الإسلام في أرجاء المعمورة، وهذا من روح العقيدة الإسلامية وفلسفة نهجها هذا الصحابي الجليل ليكون لنا قدوة حسنة وأسوة نتأسى بها لما تعلمه من معلم البشرية ورسول الإنسانية سيدنا محمد (ﷺ).

المطلب الثالث: ذكر فتح بيت المقدس

عن سالم بن عبد الله قال: لما قدم عمر(رحمه الله) الجابية، قال له رجل من يهود: يا أمير المؤمنين، لا ترجع إلى بلادك حتى يفتح الله عليك إيليا، فبينما عمر بن الخطاب بها إذ نظر إلى كردوس من خيل مقبل، فلما دنوا منه سلموا السيوف، فقال عمر: هؤلاء قوم يستأمنون فأمنوهم، فأقبلوا، فإذا هم أهل إيليا، فصالحوه على الجزية، وفتحوها له، فلما فتحت عليه دعا ذلك اليهودي، فقيل له إن عنده لعلماً، قال فسأله عن الدجال، وكان كثير المسألة عنه، فقال له اليهودي، وما مسألتك عنه يا أمير المؤمنين؟ فأنتم والله معشر العرب تقتلونه دون باب لد، ببضع عشرة ذراعاً.وعن سالم قال لما دخل عمر الشام، تلقاه رجل من يهود دمشق، فقال: السلام عليك يا فاروق، أنت صاحب إيليا، لا والله لا ترجع حتى يفتح الله إيليا، وكانوا قد أشجوا عمرَ وأشجاهم، ولم يقدر عليها ولا على الرملة، فبينما عمر معسكر بالجابية فزع الناس إلى السلاح، فقال: ما شانكم، فقالوا: ألا ترى الخيل والسيوف فنظر، فإذا كردوس يلمعون بالسيوف، فقال عمر، مستأمنة ولا تراعوا، وأمنوهم، فأمنوهم، وإذا هم أهل إيليا، فأعطوه واكتتبوا منه على إيليا وحيزها والرملة وحيزها فصارت فلسطين نصفين، نصف مع أهل إيليا، ونصف مع أهل الرملة، وهم عشر كور وفلسطين تعدل الشام كله، وشهد ذلك اليهودي الصلح فسأله عمر عن الدجال،فقال هو من بني بنيامين وانتم والله يا معشر العرب تقتلونه على بضع عشرة ذراعا من باب لد.

وعن خالد وعبادة قالا: كان الذي صالح فلسطين، العوام من أهل إيليا والرملة وذلك أن أرطبون والتذارق لحقا بمصر مقدم عمر الجابية وأصيبا، بعد في بعض الصوائف وقيل كان سبب قدوم عمر إلى الشام، أن أبا عبيدة حضر بيت المقدس فطلب أهله منه أنه يصالحهم على صلح مدن أهل

(1) الحنبلي، الأنس الجليل، ج1، سبق ذكره، 257.

الشام، وأن يكون المتولي للعقد عمر بن الخطاب، فكتب إليه بذلك فسارعن المدينة، وعن عدي بن سهل قال: لما استعد أهل الشام عمر على أهل فلسطين، استخلف عليها وخرج ممدا لهم، فقال علي أين تخرج بنفسك، إنك تريد عدوا كلباً، فقال إني أبادر بجهاد العدو موت العباس، إنكم لو قد فقدتم العباس لأنتقض بكم الشر كما ينتقض أول الحبل، فقال: وانضم عمرو وشرحبيل إلى عمر بالجابية حين جرى الصلح فيما بينهم، فشهد الكتاب. وعن خالد وعبادة قالا صالح عمر أهل إيليا بالجابية، وكتب لهم فيها الصلح لكل كورة، كتاباً واحداً ما خلا أهل إيليا.

المطلب الرابع: نص العهدة العمرية

كما ورد في كتاب الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل لمجير الدين الحنبلي

عن سيف بن أبي حازم وأبي عثمان عن خالد وعباده قالا: صالح عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أهل إيليا بالجابية وكتب لهم فيها الصلح، لكل كورة كتاباً واحداً ما خلا أهل إيليا "وهذا نصه" (بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أعطى عبد الله أمير المؤمنين عمر أهل إيليا من الأمان، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم ولصلبانهم ومقيمها (وبريها) وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من (حدها) ولا من صليبهم ولا شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيليا معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيليا أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعلى أن يخرجوا منها الروم (واللصوص) فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيليا من الجزية،ومن أحب من أهل إيليا أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعتهم وصليبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعتهم وصليبهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان فيها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيليا من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أرضه فانه لا يؤخذ منه شيء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمته وذمة رسول الله عليه وسلم وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين، إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية.

شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان.[1]

فأما سائر كتبهم فعلى كتاب لد (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل لد ومن دخل معهم من أهل فلسطين أجمعين، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبهم وسقيمهم وبريئهم وسائر ملتهم،أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من

(1) الحنبلي، الأنس الجليل، ج1، سبق ذكره، 255.

حيزها ولا مللها ولا من صلبهم ولا من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم وعلى أهل لد ومن دخل معهم من أهل فلسطين أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل مدائن الشام، وعليهم إن خرجوا مثل ذلك الشرط إلى آخر ثم سرح إليهم وفرق فلسطين على رجلين، فجعل علقمة بن حكيم على نصفها وأنزله الرملة، وعلقمة بن مجزز على نصفها وأنزله إيليا، فنزل كل واحد منهما في عمله في الجنود التي معه، وعن سالم قال: استعمل علقمة بن مجزز على إيليا، وعلقمة بن حكيم على الرملة، في الجنود التي كانت مع عمر، وضم عمراً وشرحبيل إليه بالجابية، فلما انتهى إلى الجابية وافقا عمر: رحمه الله: راكبا فقبلاً ركبتيه وضم عمر كل واحد منهما محتضنهما.)[1]، عن عبادة وخالد قالا: ولما بعث عمر بأمان أهل إيليا وسكنها الجند، شَخِص إلى بيت المقدس من الجابية فرأى فرسه يتوجى فنزل عنه، وأتى ببرذون فركبه، فهزه فنزل فضرب وجهه بردائه ثم قال: قّبح الله من علمك هذا، ثم دعا بفرسه بعد ما أجمعه أياماً يوقحه فركبه، ثم سار حتى انتهى بيت المقدس، وعن أبي صفية شيخ من بني شيبان. قال: لما أتى عمر الشام أتى ببرذون فركبه فلما سار جعل يتخلج به، فنزل عنه وضرب وجهه، وقال لا علم الله من علمك هذا من الخيلاء، ولم يركب برذونا قبله ولا بعده، وفتحت إيليا وأرضها كلها على يديه، ما خلا أجنادين، فإنها فتحت على يدي عمرو، وقيسارية على يدي معاوية، وعن أبي عثمان وأبي حارثة قالا: افتتحت إيليا وأرضها على يدي عمر في ربيع الآخر سنة ست عشرة، وعن أبي مريم مولى سلامة قال: شهدت فتح إيليا مع عمر (رحمه الله) فسار من الجابية فاصلاً حتى يقدم إيليا، ثم مضى حتى يدخل المسجد، ثم مضى نحو محراب داود، ونحن معه فدخله، ثم قرأ سجدة داود فسجد وسجدنا معه، وعن رجاء بن حيوة عمن شهد قال: لما شخص عمر من الجابية الى إيليا، فدنا من باب المسجد قال ارقبوا لي كعباً، فلما انفرق به الباب قال: لبيك اللهم لبيك بما هو أحب إليك ثم قصد المحراب: محراب داود – (عليه السلام) وذلك ليلاً فصلى فيه، ولم يلبث أن طلع الفجر فأمر المؤذن بالإقامة، فتقدم بالناس وقرأ بهم سورة (ص) وسجد فيها ثم قام، وقرأ بهم في الثانية صدر بني إسرائيل، ثم ركع ثم انصرف فقال عليّ بكعب فأتي به فقال: أين ترى أن نجعل المصلى فقال إلى الصخرة، فقال: ضاهيت والله اليهودية يا كعب، وقد رأيتك وخلعك نعليك ثم ركع ثم انصرف، فقال: أحببت أن أباشره بقدمي، فقال: قد رأيتك بل نجعل قبلته صدره، كما جعل رسول الله قبلة مساجدنا صدورنا، اذهب إليك فإنا لم نؤمر بالصخرة ولكنا أمرنا بالكعبة، فجعل قبلته صدره، ثم قام من مصلاه إلى كناسة قد كانت الروم قد دفنت بها بيت المقدس في زمان بني إسرائيل، فلما صار إليهم أبرزوا بعضها وتركوا سائرها، وقال: يا أيها الناس اصنعوا كما أصنع وجثا في أصلها، وجثا في فرج من فروج قبائه، وسمع

(1) المصدر نفسه، ص 253.

التكبير من خلفه، وكان يكره سوء الرعة في كل شيء، فقال: ما هذا؟ فقالوا: كبّر كعب وكبّر الناس بتكبيره، فقال: عليّ به، فأتي به. فقال: يا أمير المؤمنين انه قد تنبأ على ما صنعت اليوم نبي منذ خمسمائة سنة. فقال: وكيف؟ فقال: إن الروم أغاروا على بني إسرائيل فأديلوا عليهم فدفنوه ثم أديلوا فلم يفرغوا له حتى أغارت عليهم فارس، فبغوا على بني إسرائيل، ثم أديلت الروم عليهم إلى أن وليت، فبعث الله نبياً على الكناسة، فقال أبشري أورشليم عليك الفاروق ينقيك مما فيك وبعث إلى القسطنطينية نبي فقام على تلها فقال: يا قسطنطينية ما فعل أهلك ببيتي أخربوه وشبهوك كعرشي وتأولوا علي فقد قضيت عليك أن أجعلك جلحاء يوما ما لا يأوي إليك أحد، ولا يستظل فيك على أيدي بني القاذر سبأ وودان، فما أمسوا حتى ما بقي منه شيء، وعن ربيعة الشامي بمثله وزاد، أتاك الفاروق في جندي المطيع، ويدركون لأهلك بثأرك في الروم، وقال في قسطنطينية أدعك جلحاء بارزة للشمس لا يأوي إليك أحد ولا تظلينه.[1]

وقد أورد الأستاذ عبد العزيز الدوري في بحثه عن القدس، في الفترة الإسلامية الأولى عن اختلاف الأخبار في فتح بيت المقدس بقوله "... وتختلف الأخبار حول تاريخ فتح المدينة وتسليمها، ويعطينا سيف بن عمر (180/ 790) كما ورد في الطبري تاريخاً مبكراً أكثر من اللازم 15/ 636 بينما تجعله بعض الأخبار في سنة 17 / 638 ولكنه يعتقد بصورة عامة، أن عمر توقف في (سرغ) سنة 17 هـ بسبب الطاعون. وتجعل معظم الروايات المبكرة تاريخ الفتح في سنة 16/ 637ويبدو أن هذا أكثر احتمالا.

أما أغلب روايات المؤرخين، فتشير إلى أن الفتح العمري لبيت المقدس، كان في السنة الخامسة عشرة للهجرة النبوية.

وتختلف الروايات حول ما إذا كانت القدس قد استسلمت لقائد من القواد (أبو عبيدة) أو لخليفة عمر شخصياً. ونحن نجد تعديلاً جزئياً لذلك في زيارة الخليفة للمدينة، وهي زيارة مؤكدة. ويبين التحليل النقدي للمصادر، أن الروايات شامية تذهب إلى أن القدس جعلت وجود الخليفة شرطاً للتسليم وإلى أن الصلح أنفذه الخليفة عند تسليم القدس، وإجراء الصلح معها تريد إبراز أهمية المدينة، وتسير الروايات والقصص غير الإسلامية في الاتجاه ذاته لأهمية ذلك عندهم.[2]

---

(1) نفس المصدر253 .

(2) عبد العزيز الدوري، القدس في الفترة الإسلامية من القرن السابع حتى القرن الحادي عشر (القدس في التاريخ، ترجمة د: كامل العسلي)، عمان: عمادة البحث العلمي، الجامعة ألأردنية، 1992م،ص 133.

"وقد تحدث عن العهدة العمرية وشروطها، كثير من المؤرخين العرب، فمنهم من أيد جانبا، ومنهم من حذف أو عارض جانبا آخر، وطرف ثالث أخذ يحلل ويغير شروط العهدة ... وقد تناول هذه العهدة كل من المؤرخ ميخائيل السوري، والحميري في كتابه، وابن الجوزي، وكذلك المقدسي البشاري، والمشرف بن المرجا وابن عساكر وابن قيم الجوزية وابن أعثم ومجير الدين الحنبلي وغيرهم كثير، لا مجال لحصرهم جميعاً.

أما النصوص المطولة التي وصلتنا فقد، فقد جاءت من كل من الطبري، ومجير الدين الحنبلي، ونصا آخر عن الروم الأرثوذكس في القدس، ويختلف نص مجير الدين الحنبلي بعبارة" قبل مقتل فلان" ويبدو أن الأستاذ الدكتور مروان البحيري، كان هو الآخر استند في بحثه على نص الطبري "[1].

المطلب الخامس: عرض وتحليل لنص العهدة العمرية

عوداً إلى روح العهدة العمرية، كان لا بد لنا من التحليل والخروج بالنتائج الإيجابية التي خلدت هذه العهد من ذلك الزمن، أي منذ خمسة عشر قرناً حتى هذا الزمان والتي لم تنف من أي مصدر من مصادر التاريخ بل إنها حدث وقع فعلاً ولا خلاف عليه، وإن اختلفت الصيغ من مرجع إلى آخر، بيد أنها تجمع على جوهر وروح هذه المباديء السامية، والتي هي من روح العقيدة الإسلامية والتسامح الديني، الذي كرّسه الإسلام في أبناء هذه العقيدة الغراء.

ذكر سابقاً على أن بلاد الشام وعلى رأسها بيت المقدس، كانت على رأس أوليات الدعوة الإسلامية، فكان الفتح الروحي لبيت المقدس على يدي الرسول الكريم وتوجهه (ﷺ) إلى هذه الديار كما كانت وصية الرسول الكريم (ﷺ) بالتوجه صوب هذه الديار من أبرز معالم الفتوحات الإسلامية، وقد سار على نهجه الخلفاء الراشدون، بدءاً من أبي بكر وعمر حتى تحققت الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، لم يكن العدو الذي سيواجهه المسلمون بالعدو البسيط أو القوة الضعيفة، بل كانت القوة الكبرى في ذلك العصر حيث الرومان بقوتهم العسكرية وإمبراطوريتهم المترامية الأطراف، علاوة على أن هذه الفتوحات لا تعني الفتح العسكري محدود الأهداف، بل أنه كان فتحاً روحياً لنشر العقيدة الإسلامية ورفع كلمة الله (سبحانه وتعالى) في أرجاء المعمورة على ملة الإسلام.

---

(1) محمد هاشم موسى غوشه، فتح بيت المقدس، 1995م، ص 75 .

فماذا يعني أن: بيت المقدس، هي المدينة الوحيدة التي تم فتحها على يدي الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، باستثناء بقية المدن الأخرى التي استسلمت للقادة المسلمين، وذلك لأهمية هذه المدينة من الناحية العقدية ومركزيتها في العقيدة الإسلامية، فكانت لها هذه الخصوصية للتجسد روحاً وعملاً في عقيدة المسلمين،على ألا يتنازل عنها المسلمون، لأنها جزء من عقيدتهم لما فيها من ذخائر إيمانية ترتبط بالعقيدة الإسلامية.

أبى أهل بيت المقدس أن يستسلموا للجيش الذي حاصرهم قرابة أربعة أشهر، وألا تفتح أبوابها إلا على يدي الخليفة عمر، وهذا تكريم وتعظيم وتجسيد خالد لهذا الحدث الرائع، الذي خلد مع الزمان مما يجعل له الخصوصية المميزة عن غيره من الأحداث.

لهذا فقد استجاب (رضي الله عنه) لأبي عبيدة بأن يحضر شخصياً، وأن يتوجه بكل بساطته وورعه وتقواه إلى بلاد الشام، ليكون رديفا للحملات الإسلامية، فإلى أين توجه؟ لم يتوجه مباشرة إلى بيت المقدس، بل أنه توجه إلى مركز العمليات في الجابية في حوران، حيث اجتمع هناك بالقادة الميدانيين، الذين وفدوا إليه من جبهات القتال ليحفوا به، علما بأن هناك قادة ميدانيون ظلوا في أرض المعارك،حتى لا يتم اختراقهم وحافظوا على مواقعهم في فلسطين أمام الروم.

قدم إليه هؤلاء القادة، وتعانقوا وهنأهم على النصر المؤزر الذي حققوه، ووفد إليه في هذا الموقع كردوس من الخيل يحملون السيوف من أهل بيت المقدس، وقد أدرك بفطنته أن هؤلاء القوم لم يأتوا للحرب، بل أنهم جاءوا ليعلنوا الانصياع والاستسلام لشخص عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وقد تم في هذه المرحلة كتابة العهدة، ككتابة العهود والمواثيق الأخرى مع أهل المدن الثانية التي وفدت إليه ليتم الأمن والاستسلام، نستفيد من هذا أن أهل هذه البلاد لم يكونوا من الدولة الحاكمة (الروم) بل أن الروم هم الذين كانوا يقاومون المسلمين، وما زالوا يتمسكون بالسيف وبمناهضة الجيوش الإسلامية، وأن أهل هذه ا لبلاد العرب الذين أكرمهم الله فيما بعد، بدخولهم الإسلام هم الذين أبرموا العهود مع عمر بن الخطاب0

لقد ورد في نص العهدة كلمة إيليا، ولم ترد كلمة بيت المقدس؟ من المعلوم أن القدس قد مرت في العديد من التسميات، حيث أن كلمة إيليا كانت هي الكلمة المتعارف عليها والذائعة بين الشعوب والأمم في ذلك العصر، وليس هذا امتهان لها بل هو اسم متعارف عليه0 ولدى دخول المسلمين إليها فقد زالت عنها جميع الصبغات والتسميات الأخرى، وأصبح اسمها علماً عليها، ما زال حتى وقتنا الحاضر صبغة واسما وروحاً (القدس).

لم يكن الفتح العمري على يدي عمر، فتحاً مرتبطاً بشخصه عرضاً، بل أن هناك دلائل وإرهاصات وردت في الكتب المقدسة السابقة، وهذا ما أشار إليه بطريرك المدينة، بأن فتحها سيكون

على يدي شخص اسمه عمر، وذكر أوصافه الجسدية – وهذا ما تم فعلا – على يدي هذا الخليفة الراشد، كما أن اليهودي الذي قابل عمر (رضي الله عنه) في الجابية بشّره، بألا يرجع حتى يفتح الله عليه القدس، وهذه بشارة أخرى جاءت على لسان كتابي آخر من يهود، كما أن هذا اليهودي قد استقدمه عمر بعد أن تم له الفتح لبيت المقدس وسأله عن الدجال – حيث كان كثير السؤال عنه – فقال: أنتم والله معشر العرب تقتلونه عند باب لد على بضع عشرة ذراعا، وهذا إرهاص آخر على أن العرب الذين هم مادة الإسلام، سيقتلون الدجال على باب لد في فلسطين، وأن العرب هم الذين سيملكون هذه الديار، وسيتم لهم فتحها0وهذا ما تحقق. حيث أن عمر قد توجه إلى بيت المقدس، فنظر إلى فرسه فرآه يتوجّى من السير، وأحضر إليه برذوناً فركبه، فهزه، فنزل عنه وضربه على وجهه برداءه ثم قال، قبّح الله من علمك هذا، فدعا بفرسه وركبه، أي أنه لا يحب الخيلاء.

تم الفتح العمري لبيت المقدس، ورتب أحوالها وأنشا الدواوين وكشف موقع المسجد وباشر ببنائه ووضع عليها واليا علقمة بن مجزز، وعلى الرملة علقمة بن حكيم، وقسم ديار فلسطين إلى فسطاطين.

عوداً بنا إلى نص العهدة العمرية، وبما فيها من مواثيق ومعاني سامية تحفظ حقوق العباد من أبناء الطوائف غير المسلمة، وأن هذا الدستور الذي وضعه عمر لم ترتق أكثر دول العالم لا قديماً ولا حديثاً على مجاراته لما في هذه الوثيقة من حفاظ على الآخرين، وغير المسلمين في حقوقهم الدينية أو المدنية.

وردت كلمة (بريها) في نسخة الأنس الجليل، كما أنها وردت في المراجع الأخرى (بريئها) ولهذا فإن لهذه الكلمة مدلولان، فأما في نسخة الأنس الجليل، فقد وردت بعد كلمة مقيمها، أي الساكن داخل هذه المدينة، وأما كلمة بريها، أي الساكن في أكتافها أو المنطقة المحيطة بها، حيث ينطبق عليه ما على غيره من عهود ومواثيق، أما في المراجع الأخرى فقد وردت بعد سقيمها أي المريض المقيم فيها، وبريئها _ أي البريء من الأسقام، الصحيح المعافى.

كما وردت كلمة اللصوص في الأنس الجليل وهذه الكلمة ليس فيها لبس، أما في المراجع الأخرى فقد وردت (أللصوت) مفردها اللصت مثل اللص – السارق وجمعه لصوت.

بدأ عمر(رضي الله عنه) بالبسملة في بداية هذه العهدة، وأنزل نفسه منزلة العبد لله مُعنوناً هذه العهدة بالأمان، والأمن الشامل على الأنفس والأموال ودور العبادة – الكنائس وما تحويه من أدوات عبادة كالصلبان، وهذا جل ما يتمناه المرء في العدالة والمساواة، وإعطاء أبناء الملل غير المسلمين حقوقهم الدينية والمدنية، سواء كان الذمي مقيما أو بجوار المقيم، أو السقيم أو الصحيح أي جميع الفئات، وأن دور العباد تبقى على ما هي عليه فلا يتعدى عليها المسلمون أو يسكنها غير أصحابها أو أن تصاب

بالأذى أو الهدم ولا يعتدي عليها،وألا يكره النصارى على دينهم أو ينغصهم في عبادتهم أحد، بل أنهم أحرار في عقيدتهم.

لقد وضع بنداً هاماً في هذه العهدة، وأدرك ما لليهود من سوء خلق وتآمر وحقد على المسيحيين، وما كانوا يكنونه لهم سيما في تآمرهم عليهم أيام البيزنطيين أو دولة الرومان او اليونان، حيث أنهم كانوا دائما يتعاونون مع المحتل ضد أهل البلاد الأصليين ويجلبون لهم الخراب والدمار، وقد أصدر قراره بألا يسكن مع أهلها يهود لما عرف عنهم وعن مسلكهم وأعمالهم، كما أنه قرنهم باللصوص أو بمن يشهر سيفه من الروم ضد المسلمين وجعلهم في مرتبة واحدة، كل هذا مقابل أن يدفع سكان القدس من غير المسلمين (الجزية) وقد أعطى فرصة لمن أراد أن يغادر القدس، وأعطاه الأمان أيضا، حتى أنهم أصبحوا جميعا تحت رحمته وبإمكانه أن يعمل فيهم السيف ولكن رحمة الإسلام ورأفة قلب هذا الخليفة الراشد، فتحت لأبناء الطوائف غير المسلمة الآفاق والحرية في اتخاذ القرار المناسب لحياتهم، فماذا بقي لهم إن أرادوا البقاء على حالهم وفي أماكن عبادتهم – فلا ضير – وإن أرادوا هم ومن رغب غيرهم الالتحاق بالروم، حاملاً معه ماله وما يملك في أمان حتى يلتحق بمن أراد؟ لقد أعطى هؤلاء القوم فرصة أوسع، بأن يجنوا ثمارهم ويحصدوا حصادهم ويجمعوا غلالهم وهم في أمن وأمان لا يضار منهم أحد، وأعطاهم فرصة للتفكير واختيار الطريق الذي يرتضون.

كل هذا عهد الله وذمته وذمة رسول الله (ﷺ) مقابل أن يدفعوا الجزية، فقط. ووقع على هذه العهدة الخالدة، كما شهد عليها القادة والصحابة الكرام ورجال الإسلام وهم (خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان) .

إن المتأمل لهذا الحدث، وهذا العمر الزمني الذي وصلت إليه الدعوة الإسلامية، وما حققته من إنجازات على الأرض، حدث قياسي لا يمكن لأي نظام عالمي أن يحققه وأن يسحق أكبر قوة في الأرض في هذا الزمن البسيط، وأن تتم الفتوحات وتخرج دولة الروم في هذه المدة ويدخل أهل البلاد في الإسلام ويعطى الأمن والأمان وحرية العبادة لأبناء الديانات الأخرى، ويكون الإسلام هو سيد الموقف بالعدل والإنصاف.

المطلب السادس: نص لوثيقة الصلح التي قدمها النصارى لعمر بن الخطاب

لم تكن العهدة العمرية من جانب واحد، بل أنها كانت من نصارى القدس للخليفة الراشد عن عبد الرحمن بن غنم قال: كتب لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حين صالح نصارى أهل الشام: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب لعبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين من نصارى المدينة كذا وكذا، إنكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وذرارينا وأموالنا وأهل ملتنا وشرطنا لكم على أنفسنا أن

لا نحدث في مدينتنا ولا فيما حولها ديراً ولا كنيسةً ولا قلاية ولا صومعة راهب ولا نحيي منها ما كان في خطط المسلمين، ولا نمنع كنائسها أن ينزلها أحد من المسلمين في ليل ولا نهار، وأن نوسع أبوابها للمارة، وابن السبيل، وأن ننزل من مر من المسلمين ثلاث ليالي نطعمهم ولا نواري كنائسها ولا في منازلها جاسوساً ولا نكتم غشاً للمسلمين ولا نعلم أولادنا القرآن ولا نظهر شركاً ولا ندعوا إليه أحداً، ولا نمنع أحداً من ذوي قرابتنا الدخول في الإسلام إن أراده وأن نوقر المسلمين ونقوم لهم في مجالسنا إذا أرادوا الجلوس، ولا نتشبه في شيء من لباسهم في قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا نتكلم بكلامهم ولا نتكنى بكناهم ولا نركب السروج ولا نتقلد السيوف ولا نتخذ شيئاً من السلاح ولا نحمله معنا ولا ننقش على خواتمنا بالعربية ولا نبيع الخمور، وأن نجز مقادم رؤوسنا وأن نلزم زياً حيثما كنا وأن نشد زنانير أوساطنا، ولا نظهر الصليب على كنائسنا ولا نظهر صلباننا ولا كتبنا في شيء من طرق المسلمين ولا في أسواقهم ولا نضرب نواقيسنا في كنائسنا إلا ضربا خفيفا، ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ولا نتخذ من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين ولا نطلع عليهم في منازلهم.

قال فلما أتيت عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بالكتاب زاد فيه: ولا نضر بأحد من المسلمين شرطنا لكم ذلك على أنفسنا، وأهل ملتنا وقبلنا عليه الأمان، فإن نحن خالفنا شيئا مما شرطناه لكم وضمناه على أنفسنا فلا ذمة لنا وقد حلّ لكم منا ما حل من أهل المعاندة والشقاق.

رواه الإمام البيهقي وغيره وقد اعتمد أئمة الإسلام هذه الشروط وعمل بها الخلفاء الراشدون.

روي أن عمر(رضي الله عنه) أمر في أهل الذمة أن تجز نواصيهم، وأن يركبوا على الأكف عرضاً ولا يركبوا كما يركب المسلمون وأن يوثقوا المناطق أي الزنانير. وكان اسم البطرك الذي عقد معه الصلح آنذاك صفرونيوس، وكان قد أخبر النصارى أن الله يفتح البيت المقدس على يد عمر من غير قتال.[1]

المطلب السابع: عرض وتحليل لوثيقة الصلح التي قدمها نصارى بيت المقدس

لعمر بن الخطاب رداً على العهدة العمرية ووفاء بالجميل وحسن المعاملة.

تم توجيه هذا الكتاب إليه ذاكرين مبتدئين هذا الكتاب بالبسملة، ومخاطبين عمر بأمير المؤمنين وموجه من نصارى هذا البلد إلى الخليفة الراشد. يردون عليه بحسن الجميل قائلين: لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وأموالنا وذرارينا وأموالنا وشرطنا لكم على أنفسنا.

---

(1) الدوري، عبد العزيز، القدس في الفترة الإسلامية من القرن السابع حتى القرن الحادي عشر، (القدس في التاريخ) ترجمة الدكتور كامل العسلي،، عمان عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية 1993م ص 133.

عدم إحداث أي كنيسة راهب أو دار عبادة جديدة لهم، وان يجعل من دور العبادة هذه أماكن استقبال وضيافة للمسلمين وأن لا يغلق أمامهم وأن يقدموا للمسلمين الطعام في هذه الأماكن لثلاثة أيام أيضا، كما أنه لا يتخذ من هذه الكنائس أماكن للجواسيس، أو يحاك فيها المؤامرات والدسائس على المسلمين، وألا يعلّموا أولادهم القرآن نكاية للمسلمين، كما أنهم لا يظهرون شركاً أو يدعو إليه، فهم مواطنون مسالمون في أماكن عبادتهم وحياتهم وتعاملهم، بل ولا يمنعون أحداً من أقاربهم أراد الدخول في الإسلام، كما أنهم يحترمون المسلمين ويوقرونهم في مجالسهم، ولا يتشبهون بهم أو يقلدونهم في لباسهم ولا يتحدثون بلغتهم ولا يكنون بكناهم ولا يركبون سروج الخيل كالمسلمين ولا يتقلدون السيوف حتى لا يختلطوا بالمسلمين، حتى أنهم لا ينقشون على خواتمهم باللغة العربية أو يبيعون الخمور، حيث حرمها الشرع الإسلامي، وأن يجزوا نواصيهم وأن يشدوا زنانير ثيابهم حتى يكونوا مميزين عن المسلمين معروفين من مظاهرهم، وألا يتباهوا بالصليب، أمام المسلمين وأن يخفضوا أصوات النواقيس في كنائسهم، كما لا يرفعون أصواتهم وهم سائرون في الجنائز ولا يتخذون الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين ولا يتجسسوا على منازل المسلمين.

ولما قرأ عمر (رضي الله عنه) هذه الوثيقة زاد فيها ولا نضر بأحد من المسلمين، وإن خالفوا هذه الشروط فقد حل عليهم ما حل بأهل المعاندة والشقاق واعتبر الصلح لاغيا.

هكذا كان الاحترام المتبادل بين المسلمين والذميين، حتى يعيش كل فريق منهم بأمان واطمئنان عارفاً لحدوده لا يتدخل في شؤون الآخرين، على أن تكون السيادة العليا للمسلمين، لأنهم هم السلطة الحاكمة، فمن واجبهم أن يحافظوا على مواطنيهم شريطة أن يقدم المواطنون الولاء والطاعة للمسلمين وألا يؤذونهم أو يضروهم أو يكونوا سببا في الإيذاء للمسلمين.

المطلب الثامن: خطبة عمر بن الخطاب في المسلمين ببيت المقدس

قام عمر في الناس خطيبا: فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على النبي(صلى الله عليه وسلم) ثم قال: يا أهل الإسلام إن الله قد صدقكم الوعد ونصركم على الأعداء وأورثكم البلاد ومكن لكم في الأرض، فلا يكونن جزاؤه منكم إلا الشكر، وإياكم والعمل بالمعاصي، فإن العمل بالمعاصي كفر بالنعم، وقلما كفر قوم بما أنعم الله عليهم ثم لم يفزعوا إلى التوبة إلا سلب عزهم وسلط عليهم عدوهم. ثم نزل وحضر الصلاة فقال: يا بلال ألا تؤذن لنا رحمك الله. قال بلال: يا أمير المؤمنين ما أردت أن أؤذن لأحد بعد رسول الله (ﷺ) ولكن سأطيعك بعد إذ أمرتني في هذه الصلاة وحدها. فلما

أذّن بلال وسمعت الصحابة صوته ذكروا نبيهم (ﷺ) فبكوا بكاء شديداً، ولم يكن في المسلمين يومئذ أطول بكاء من أبي عبيدة ومعاذ بن جبل حتى قال لهما عمر: حسبكما رحمكما الله[1].

المطلب التاسع: عمر بن الخطاب يفرض العطاء ويعيّن الدواوين في القدس

بعد أن تمت السيطرة التامة للمسلمين على القدس وزال عنها الحكم الروماني الذي عاش فترة طويلة، حيث أن الرومان قد خرجوا من هذه المدينة وغيرها من بلاد الشام كحكام سيطروا على مقدرات هذه البلاد، بيد أن المجتمع العربي المحلي لم ينصهر في بوتقة الرومان ولم يذوبوا في مجتمعهم ولم تغطي العقيدة التي يعتنقها حكام الرومان على أهل البلاد الأصليين بل كان غالبيتهم على ديانة غير ديانة الدولة الحاكمة، ولما جاء المسلمون لم يكرهوا أحدا على الدخول في الإسلام بل عاملوا الذميين معاملة خاصة وتركوهم في عبادتهم وشؤونهم الحياتية العادية دون إكراه مما قرّب إلى عقول الناس قبول هذا الدين العظيم فأصبح الإسلام هو الدين الرئيسي في بلاد الشام وهذا من أسرار عظمة وكرامة هذا الدين.

بدأ عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) شخصيا يتفقد أحوال الناس في بيت المقدس كعادته في المدينة المنورة وتجول في أرجاء هذا البلد المبارك، ووقف على أحوال المواطنين وكتب العهدة العمرية التي نظمت حياة الناس وعلاقتهم فتعتبر هذه العهدة دستوراً قل على أرقى دول العالم في العصور اللاحقة أن تفرز دستورا يحفظ حقوق أبناء الطوائف كما جاء في هذه العهدة.وكان على رأس أولوياته وضع الأساس لبناء المسجد العمري على قمة جبل الأقصى، وبذلك تحقق في عصره بعد الفتح الميمون بناء المسجد العمري الذي يعتبر نواة المسجد الأقصى، وقام (رضي الله عنه)بزيارة القادة الميدانيين في منازلهم للتعرف على أحوالهم واختلط مع الجند فشحنهم بشحنات الإيمان والعزيمة الإسلامية.

وفي ذات يوم قام (رضي الله عنه) بتفقد أسواق المدينة المقدسة وكان بصحبته سلامة بن قيصر الذي انتدبه للصلاة بالمسلمين، بعده حيث وقف بأعلى السوق وقال: لمن هذا الصف؟ يعني سوق البزازين، فقالوا للنصارى، فقال لمن الصف الغربي الذي فيه حمام السوق؟ فقالوا للنصارى (فقال بيده هكذا: هذا لهم وهذا لهم –يعني النصارى – وهذا لنا مباح يعني السوق الأوسط الذي بين الصفين وكانت فيه قبة من رصاص.[2]

(1) المصدر نفسه، ص 258.

(2) العارف، المفصل في تاريخ القدس، سبق ذكره، ص 97.

بعد أن قام عمر بالزيارات التفقدية للقدس التي تعرضت للعديد من الأحداث بعد الحروب الطاحنة التي دارت على أرضها في الفترة التي سبقت الفتوحات الإسلامية، قام بوضع التنظيمات الإدارية وإنشاء الدواوين.

يقول الطبري في كتابه (تاريخ الطبري) في هذا الشأن " وفي هذه السنة فرض عمر بن الخطاب للمسلمين الفروض ودوّن الدواوين وأعطى العطايا على السابقة، وأعطى صفوان بن أمية والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو في أهل الفتح أقل ما أخذ من قبلهم فامتنعوا من أخذه، وقالوا لا نعترف أن يكون أحد أكرم منا، فقال، إنما أعطيتكم على السابقة في الإسلام، لا على الأحساب، قالوا فنعم إذن ، أخذوا وخرج الحارث وسهيل بأهلهم نحو الشام فلم يزالا يجاهدا حتى أصيبا في بعض تلك الحروب وقيل ماتا في طاعون عمواس، ولما أراد عمر وضع الدواوين، قال له علي وعبد الرحمن بن عوف ابدأ بنفسك، قال لا: بل أبدا بعم رسول الله (ﷺ) ثم الأقرب فالأقرب ففرض للعباس وبدا به ثم فرض لأهل بدر.[1]

عيّن عمر العيون ونظم البريد وبقية الدواوين التي تهم المسلمين في بيت المقدس وعين يزيد بن أبي سفيان على القدس على أن تكون مرجعيته إلى القائد أبي عبيدة عامر بن الجراح وانتدب سلامة بن قيصر للصلاة بالناس بعد مغادرته إلى المدينة المنورة.

هكذا قام عمر(رضي الله عنه) شخصيا بفتح بيت المقدس وهذه خاصية انفردت بها هذه المدينة المقدسة لدى المسلمين حتى تبقى بيت المقدس وما فيها وأكتافها جزءا من عقيدة المسلمين وعلى ألا يفرطوا بذرة تراب واحدة منها، لأن لها خصوصية في العقيدة الإسلامية امتازت بها بهذا الشرف العظيم، بعكس بقية المدن الأخرى التي جرى عليها الفتح في بلاد الروم وفارس في عهد عمر فإنها لم تحظى بهذه المكرمة، كما أن الفتح العمري لم يقتصر على هذا الشأن بل زاد في ذلك بحيث قام(رضي الله عنه)بالكشف عن مكان المسجد الأقصى المبارك وتنظيفه بيديه الكريمتين ليؤسس في هذا المكان هذا المسجد المبارك، وقام(رضي الله عنه) بكتابة العهدة العمرية والتي تعتبر دستورا ينظم حياة جميع الطوائف، والأمر الهام أيضا ألا وهو تنظيم أمر المسلمين حيث فرض العطاء للمجاهدين ونظم الدواوين ورتب المؤسسات الإسلامية التي امتازت بالعدل والمساواة.

إذن لم يترك أمراً من أمور الناس ولا شأنا من شؤون العباد في القدس إلا قام بترتيبه ووضعه في المكان المناسب، حتى يعيش الجميع في مساواة تامة واستقرار0 بعد أن تم له ذلك غادر القدس مطمئنا هاني البال مستريح الضمير، فعاشت القدس بأهلها مسلمين ومسيحيين فترات من الزمن لا يعكر

(1) الطبري، سبق ذكره، ص 452.

صفوهم ولا يفسد تعايشهم إلاّ الغزو الصليبي في العصور الوسطي والغزو الاستعماري في العصر الحديث وما آلت إليه أوضاع القدس في وقتنا الحاضر وما جرى عليها من احتلال صهيوني أفسد على سأكنيها مسلمين ومسيحيين حياتهم التي عاشوها منذ الفتوحات الإسلامية في هناء وتعايش سلمي وجوار حفظته العهدة العمرية.

المطلب العاشر: النتائج المترتبة على الفتح العمري لبيت المقدس

كانت النتائج التالية التي ترتبت عن فتح عمر لبيت المقدس:

أولا: الترتيب الإداري وعمل الدواوين ومنح الأعطيات لمستحقيها من سكان بيت المقدس.

ثانيا: منح العهدة العمرية لسكان بيت المقدس وعرف كل أصحاب ديانة حدودهم وأصبحوا أحرارا في عقيدتهم وحريتهم الشخصية وفي أملاكهم، وهذه ميزة لم تتسن لهم من الأمم التي حكمت هذه الديار من قبل.إن هذه العهدة لتعتبر بحق من أهم المواثيق والعهود التي أعطيت لغير المسلمين وأصبح أهل الذمة في أمن وسلام.

ثالثا: نصت العهدة العمرية على عدم سكن اليهود ببيت المقدس وتطهيرها منهم لما عرف عنهم واشتهروا به من دسائس ومكائد وما كان لهم من سابقة خطيرة ضد النصارى حينما وقفوا مع الفرس فاستغلوا الفرصة ودمروا العديد من الكنائس والأديرة في فترة ضعف الروم.

رابعا: يعتبر الفتح العمري لبيت المقدس من أهم الفتوحات الإسلامية للبلدان خارج الجزيرة العربية، حيث دالت دولة الإسلام على هذه الديار – بلاد الشام – فكانت النهاية لأكبر قوة في عصرها عن هذه البلاد وزال الحكم الروماني بكل أثقاله ليفسح المجال للحكم الإسلامي.

خامسا: ظهر العنصر العربي في بلاد الشام واعتنق السواد الأعظم من العرب الدين الإسلامي علما بأنه لم يكره أحداً على الدخول فيه.

سادسا: يعتبر الفتح العمري لبيت المقدس فاتحة الطريق لفتوحات المسلمين في هذه البلاد أي أن من يسيطر على بيت المقدس تكون له الغلبة على جميع ديار الشام وعلى الشرق عامة.فالقدس هي الرمز والعنوان لهذه البلاد، وقد هيأت الفرصة لامتداد المد الإسلامي إلى مصر وشمال إفريقيا والهند والصين شرقا وبحر الظلمات غربا.

سابعا: إن الفتح العمري لبيت المقدس على يدي الخليفة الراشد شخصيا ليعتبر رمزا هاما من رموز الفتوحات الإسلامية وهذا ما أضفى عليها خصوصية ميزتها عن غيرها من البلاد التي فتحها المسلمون لأن في هذا الفتح مدلولا عقديا واعتبارا خاصا للمسلمين. يمس

مشاعر المسلمين لا سيما لأهمية بيت المقدس من حيث أنها تحوي المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة والمواقع والأماكن الإسلامية التي ترتبط بالفتوحات الإسلامية.

ثامنا: أظهر هذا الفتح العنصر العربي فأحيا اللغة العربية وأصبحت هي اللغة السائدة حيث كانت اللغة والثقافة اليونانية ذات الصبغة المميزة، كما أن العرب وعلى الرغم من وجود المتنصرة بينهم إلا أنهم لم يعطوا ولائهم للرومان، فكان همّ الرومان هو استغلال ثرواتهم واستنزاف طاقاتهم من أجل المجهود الحربي الروماني، ولما دخل الإسلام وشعروا بعدالة الإسلام وانه دين تسامح وحرية للأديان وإعطاء الحقوق لأصحابها لا إكراه فيه، اعتنقوه.

تاسعا: كان من الإنجازات التي قام بها المسلمون بعد فتح بيت المقدس هو ضرب المسكوكات المعدنية النحاسية حيث صكوا على وجهها (محمد رسول الله) ورسم لسيف وعلى الوجه الآخر إيليا وفلسطين وحرف م والهلال.

عاشرا:

أولا: الأعمال الإدارية.

1- قام بتوزيع الأعمال الإدارية وترتيب الدواوين واستقر الوضع في هذه الجوهرة، وقبل أن يقفل عائدا إلى دار الخلافة في المدينة المنورة ولّى على القدس الشريف يزيد بن أبي سفيان لموقفه الشجاع في الفتوحات الإسلامية ومساهمته في تحرير هذه الديار من الروم وجعله تحت إمرة القائد العام أبي عبيدة عامر بن الجراح، كما أنه انتدب للصلاة بالمسلمين سلام بن قيصر.

2- تعيين عبادة بن الصامت قاضيا عليها.

ثانيا: الأعمال العسكرية.

أ- أمّر علقمة بن حكيم على نصف فلسطين الشمالي فأسكنه الرملة

ب- أمّر علقمة بن مجزز على نصف فلسطين الجنوبي وأسكنه القدس.

ت- أما بالنسبة لأهل الذمة فقد وضع الجزية عليهم على النحو التالي:

القوي خمسة دنانير

الضعيف أربعة دنانير

الأضعف ثلاثة دنانير

ولا جزية على شيخ أو طفل.

كما قام عمر بأمور عدة في بيت المقدس منها:

1- فرضه الرواتب لأهلها من المسلمين.

2- وضعه التاريخ الهجري بعد أن دون الدواوين.

3- تعيينه العيون على الولاة والتجار.

4- أسس البلدية.

5- حبب المسلمين بالنصارى والنصارى بالمسلمين.

6- جعل من وثيقته التي عرفت فيما بعد بالعهدة العمرية، وثيقة أمان وسلام، أعطى من خلالها الحقوق لأصحابها ووضّح فيها الواجبات على كل فريق.[1]

(1) غوشه، فتح بيت المقدس، سبق ذكره، ص 97.

المبحث الثالث

المطلب الأول: ذكر من دخل من الصحابة الكرام (رضي الله عنهم) بيت المقدس

1- أبو عبيدة عامر بن الجراح – أمين الأمة – (رضي الله عنه) القائد العام لقوات المسلمين الذين دخلوا بلاد الشام، مات رحمه الله بمرض طاعون عمواس، ودفن بالقرب من دير علا في غور الأردن ووفاته في عهد عمر بن الخطاب وله ثمان وخمسون سنة.

2- معاذ بن جبل الأنصاري (رضي الله عنه) استخلفه أبو عبيدة على المسلمين يوم موته، مات بالطاعون أيضا بناحية الأردن في سنة ثماني عشرة للهجرة وله ثمان وثلاثون سنة وقبره في قرية القصر بغور الأردن.

3- بلال بن رباح – رضي الله عنه مؤذن رسول الله (ﷺ) ومولى أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) شهد فتح القدس مع عمر بن الخطاب ولم يؤذن بعد وفاة الرسول الكريم إلا في بيت المقدس بناء على طلب عمر بن الخطاب.

4- عياض بن غنم – رضي الله عنه _ ابن عم أبي عبيدة عامر بن الجراح دخل بيت المقدس وبنى فيها حماما وله رواية عن الرسول الكريم توفي سنة عشرين للهجرة.

5- خالد بن الوليد (رضي الله عنه) سيف الله المسلول قائد معركة اليرموك الشهيرة وصاحب الفتوحات العظيمة في الشام والعراق توفي سنة 21 للهجرة.

6- أبو ذر الغفاري (رضي الله عنه) واسمه جندب بن جنادة دخل مع الفاتحين المسلمين بيت المقدس.

7- أبو الدرداء عويمر (رضي الله عنه) توفي في دمشق في عهد عثمان بن عفان في سنة اثنتين وثلاثين للهجرة.

8- عبادة بن الصامت (رضي الله عنه) وجهه عمر إلى الشام قاضيا ومعلما وأقام بحمص ثم انتقل إلى فلسطين، سكن بيت المقدس ومات في فلسطين ودفن في بيت المقدس.

9- سلمان الفارسي (رضي الله عنه) توفي سنة ست وثلاثين للهجرة ودفن بالمدائن وقيل أنه عمّر كثيرا.

10- أبو مسعود الأنصاري: عقبة بن عمرو ألبدري توفي سنة تسع وثلاثين للهجرة.

11- تميم بن أوس (رضي الله عنه) وفد هو وأخوه نعيم من فلسطين على رسول الله (ﷺ) في السنة التاسعة للهجرة في مؤته وأعلن إسلامه وهو الذي منحه رسول الله (ﷺ) إقطاعا في بلد سيدنا الخليل عليه السلام والمشهور بحديث الإنطاء وهو صاحب حديث الجساسة حيث أخذ

في هذا الحديث الأكابر عن الأصاغر. وكان واليا لبيت المقدس فيما بعد وتوفي سنة أربعين للهجرة ودفن في بيت جبريل من أعمال الخليل بفلسطين وما زال قبره موجودا حتى وقتنا الحاضر.

12- نعيم بن أوس الداري (رضي الله عنه) أخو تميم الداري وقد أسلم مع أخيه السنة التاسعة للهجرة وعاد إلى فلسطين وتوفي فيها.

13- عمرو بن العاص السهمي: (رضي الله عنه) أحد الصحابة الذين خاضوا المعارك ضد الرسول الكريم عليه السلام والذين فتح الله قلوبهم للإيمان والتحق بالدعوة الإسلامية وخاض المعارك الضارية على أرض فلسطين ضد الرومان وهو الذي فتح بلاد مصر وحررها من الرومان وكان له على أرض القدس صولات كثيرة وقد توفي في سنة ثلاث وأربعين في خلافة معاوية بن أبي سفيان حيث أنه أحد دهاة العرب.

14- عبد الله بن سلام (رضي الله عنه) أعلن إسلامه أمام الرسول الكريم بعد أن جاء من بيت المقدس متوجها صوب الرسول الكريم وخلع عنه ربقة اليهودية، شهد له الرسول بالجنة. كان اسمه الحصين فغيره الرسول إلى عبد الله، شهد فتح بيت المقدس وتوفي سنة ثلاث وأربعين للهجرة.

15- سعيد بن زيد (رضي الله عنه) أحد العشرة المبشرين بالجنة، شهد فتح بيت المقدس، توفي سنة إحدى وخمسين للهجرة.

16- سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) واسمه مالك بن وهب، قدم بيت المقدس زمن الفتح وأحرم منه بعمرة، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة توفي بالمدينة ودفن بالبقيع وهو ابن بضع وسبعين عاما سنة خمس وخمسين للهجرة المباركة.

17- مرّة بن كعب الفهري (رضي الله عنه) نزل الشام وتوفي سنة سبع وخمسين للهجرة0

18- شداد بن أوس (رضي الله عنه) ابن أخي حسان بن ثابت شاعر الرسول الكريم، نزل بالشام ناحية فلسطين واشتهر عنه بالعلم والحكمة والحلم. وهو الذي قال فيه الرسول الكريم عند وفاته يا شداد إن الشام ستفتح وبيت المقدس سيفتح إن شاء الله تعالى وتكون أنت وولدك من بعدك أئمة بها إن شاء الله.

19- أبو هريرة (رضي الله عنه) أسامة بن عبد الرحمن بن صخر، قدم بيت المقدس وشهد فتحه توفي سنة تسع وخمسين للهجرة.

20- معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) قدم بيت المقدس.وكان بينه وبين عمرو بن العاص مبايعة على طلب عثمان، توفي سنة ستين للهجرة ودفن بدمشق ومن المعلوم أن هذا الصحابي هو الذي أسس الدولة الأموية في دمشق.

21- عبد الله بن عمرو بن العاص(رضي الله عنه) أعلن إسلامه قبل أبيه، وكان زاهدا فيصوم يوما ويفطر يوما وكان يقرأ القرآن والتوراة توفي سنة خمس وستين من الهجرة

22- عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) حبر الإسلام، لكثرة علومه دعا له النبي (ﷺ) فقال، اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فكان كذلك.

23- عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) قدم بيت المقدس وأهل منه بعمرة توفي سنه ثلاث وسبعين للهجرة عن عمر يناهز السابعة والثمانين من العمر.

24- عوف بن مالك بن عوف الأشجعي (رضي الله عنه) –أبو محمد – شهد فتح بيت المقدس ونزل بحمص، بايع رسول الله (ﷺ) على أن يعبد الله ولا يشرك به شيئا والصلوات الخمس وألا يسأل الناس شيئا.

25- أبو جمعة الأنصاري (رضي الله عنه) واسمه جندب بن سباع، قدم بيت المقدس ليصلي فيه توفي أول محرم سنة سبع وسبعين للهجرة.

26- وائلة بن الأسقع الهوازني (رضي الله عنه) أسلم والنبي متوجه إلى تبوك ويقال أنه خدمه ثلاث سنوات وهو من أهل الصفة، سكن بالبصرة ثم بالشام وتحول إلى بيت المقدس ومات به وهو ابن مائة سنة.

27- أبو إمامة صدي بن عجلان الباهلي (رضي الله عنه) سكن بيت المقدس والشام وكان آخر من أتى الشام من الصحابة الكرام توفي سنة ست وثمانين للهجرة.

28- محمود بن الربيع أبو نعيم وقيل أبو محمد (رضي الله عنه) نزل بيت المقدس وأهل منه بحج وعمرة مات وهو سنة تسع وتسعين للهجرة وهو ابن ثلاث وتسعين سنة.

29- يزيد بن أبي سفيان (رضي الله عنه) كان أميرا على جند من الأجناد ولما مات أمّر عمر مكانه أخاه معاوية بن أبي سفيان.

30- أبو ريحانه (رضي الله عنه) كانت ابنته سرية رسول الله (ﷺ) سكن بيت المقدس وكان يعظ بالمسجد الأقصى المبارك.

31- الشريد بن سويد (رضي الله عنه) قدم القدس لأنه نذر إن فتح الله على الرسول الكريم مكة أن يصلي ببيت المقدس.

32- الصحابي ابن أبي الجدعان هوعبد الله بن أبي الجدعان التميمي ويقال له الكناني والعبدي.

33- الصحابي فيروز الديلمي (رضي الله عنه) وهو من الذين أوفدهم كسرى لطرد الحبشة من اليمن فطردهم وغلبوا عليها، سكن بيت المقدس وقيل أنه توفي ودفن بها.

34- أبو محمد ألنجاري الأنصاري البدري (رضي الله عنه)قيل توفي في خلافة عمر بن الخطاب وقيل شهد صفين مع علي بن أبي طالب.

35- سلام بن قيصر (رضي الله عنه) كان واليا لمعاوية على بيت المقدس وله عقب بها

36- أبو أبي بن أم حرام (رضي الله عنه) سكن بيت المقدس وكان ربيب عبادة بن الصامت وهو آخر من مات من الصحابة ببيت المقدس.

37- عصيف بن الحارث قدم بيت المقدس وأهله فصلى فيه وجماعة من الصحابة.

38- صفية بنت حيي أم المؤمنين (رضي الله عنها) قدمت بيت المقدس فصلّت فيه وصعدت على طور زيتا، فصلّت وقامت على طرف الجبل فقالت: من هاهنا يتفرق الناس يوم القيامة إلى الجنة وإلى النار توفيت سنة اثنتين وخمسين للهجرة ودفنت بالبقيع.

هذه كوكبة من صحابة رسول الله (ﷺ) زارت أو صلت أو أهلت بحج أو بحج وعمرة أو عاشت بل وتوفاها الله سبحانه وتعالى وكان لها شرف البركة ببيت المقدس، ثلة من المجاهدين الأولين والأصحاب الخيرين ممن عاشوا حياتهم مع الرسول الكريم فزادهم الله إيمانا وبرا وبركة بشرف التقرب إليه وزيارتهم أو معاشهم أو وفاتهم ببيت المقدس، وبذلك تكون بيت المقدس من الأماكن الهامة في العالم الإسلامي التي كرّمها وشرّفها رب البرية بهذه الصفوة الطاهرة ممن تركت لها أثرا في هذا البلد الطيب، فليست بيت المقدس كغيرها من البلاد التي فتحها المسلمون واختاروها لتكون لهم سكنا فقط بل أنها دار عبادة وموئل رسالة وبلد خير يرتبط بعقيدة المسلم.ولولا قداسة هذا البلد وكرامة موئله وطهارة تربته لما كان تسابق الصحابة إليه بهذا الشكل، لما يحويه من مكنون إيماني وعمق عقدي، هرع إليه المتعبدون ولجأ إلى أكنافه المؤمنون تبركا.

المطلب الثاني: ذكرُ من دخل بيت المقدس من التابعين والعلماء والزهاد.

كانت الدعوة الإسلامية هي النور الذي أضاء للمسلمين الطريق إلى بيت المقدس فبدءا من الرسول الكريم (ﷺ) ومرورا بالخلفاء الراشدين والصحابة فإننا نشاهد من أعيان التابعين من تكرّم بزيارة أو سكن بيت المقدس ومن هؤلاء التابعين:

1- أويس بن عامر القرني صح عن رسول الله (ﷺ) أنه أمر عمر أن يسأله أني يستغفر له، قيل: أنه اجتمع بعمر رضي الله عنه ببيت المقدس وقيل: إنما لقيه في الموسم فقال لعمر: قد

حججت واعتمرت وصليت في مسجد رسول الله (ﷺ) وودت أني لو صليت في المسجد الأقصى المبارك فجهزه عمر وأحسن جهازه، وأتى المسجد فصلى فيه.

2- عبيد عامل عمر (رضي الله عنه) كان عمر قد عينه عاملا على بيت المقدس أثناء وقوع طاعون عمواس.

3- عمير بن سعد أحد عمال عمر بن الخطاب رضي الله عنه على حمص.

4- يعلى بن شداد بن ثابت من تابعي أهل الشام حضر فتح بيت المقدس وكان ثقة وروي عنه

5- أبو نعيم (المؤذن) أول من أذن ببيت المقدس.

6- أبو الزبير (المؤذن) الدار قطني مؤذن بيت المقدس.

7- أبو سلام ألجيشي: كان يقدم بيت المقدس ويقرأ على عبادة بن الصامت ويروي عنه.

8- أبو جعفر الجرشي.

9- خالد بن معدان الكلاعي العبد الصالح الفقيه الكبير أتى بيت المقدس وصلى فيه ونزل من على ستة أميال.

10- أم الدرداء هجيمة ويقال جهيمة: كانت تأتي بيت المقدس من دمشق وتمكث ستة أشهر وفي دمشق ستة أشهر.

11- أبو العوام مؤذن بيت المقدس.

12- قبيصة بن دويب كان عالما ربانيا.

13- عبد الله بن محيريز قرشي جمحي مكي نزل بيت المقدس.

14- هانيء بن أم كلثوم: حيث عرضت عليه إمارة فلسطين فرفض.

15- محارب بن دثار: كان قاضيا وهو من الزهاد.

16- عبد الله بن فيروز الديلمي وهو مقدسي ثقة0

17- زياد بن أبي سودة وهو مقدسي وهو من الثقات.

18- أبو حسن الزهري الأندلسي: كان مقيما ببيت المقدس.

19- إبراهيم بن محمد بن يوسف العرباني: نزل بيت المقدس وروى عن الآخرين وروي عنه أيضا.

20- أبو عتبة الخواص (عباد بن عباد الأرسوفي) قدم بيت المقدس وكان عابدا ثقة.

21- عبد الله بن عامر العامري

22- أبو عبد الله بن خصيف خرج من شيراز إلى مكة ثم أتى بيت المقدس.

23- قاسم الزاهد.

24- محمد بن حاتم بن محمد بن عبد الكريم الطائي أبو الحسن الطوسي، تفقه على إمام الحرمين، كان صدوقاً خبيراً فقيهاً صوفياً دخل بيت المقدس وسمع به الحديث.

25- أبو محمد عبد الله بن الوليد بن سعد بن بكر الأنصاري الفقيه المالكي.

26- جعفر بن محمد النيسابوري وهو ممن قدم بيت المقدس وأقام فيه.

27- كعب الأحبار بن مانع الحميري أبو إسحق: كان يهوديا فأسلم في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو الذي استشاره عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن موقع المسجد الأقصى.

28- إبراهيم بن أبي عبلة العقيلي المقدسي وهو راوي وروي عنه أيضا.

29- جبير بن نصر الحضرمي ألحمصي أدرك زمن النبي (ﷺ) وأسلم في زمن أبي بكر رضي الله عنه.

30- عبد الرحمن بن غنم الأشعري قدم بيت المقدس وفقه كافة التابعين بالشام.

31- مالك بن دينار من الأئمة الأعلام روى عن أنس.

32- أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية مولاة آل عقيل الصالحة المشهورة كانت من أعيان عصرها وأخبارها في الصلاح والعبادة مشهورة.

33- سليمان بن طرخان الهيثمي التميمي.

34- مقاتل بن سليمان المفسر قدم بيت المقدس فصلى فيه وجلس عند باب الصخرة القبلي واجتمع إليه خلق كثير من الناس يستمعون إليه.

35- الإمام الأوزاعي رحمه الله وهو أحد الأئمة الأعلام فقيه الشام، كان رأسا في العلم والعبادة.

36- سفيان الثوري العالم المجمع على جلاله وزهده وورعه.

37- إبراهيم بن أدهم بن إسحق من كور بلخ وهو من الزهاد وهو من ثقات التابعين وأبناء الملوك.

38- أللیث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي كان نظير مالك في العلم

39- وكيع بن الجراح بن مليح أبو سفيان الرواسي وهو من الرواة والأعلام الثقات قال عنه الإمام أحمد: ما رأيت أوعى للعلم منه ولا أحفظ. قدم بيت المقدس وأحرم منه إلى مكة.

40- محمد بن إدريس الشافعي الإمام الأعظم والحبر الأكرم، أحد الأئمة المجتهدين الأعلام وإمام أهل السنة ركن الإسلام ولد بغزة هاشم.

41- المؤمل بن اسما عيل البصري صدوق وكان شديدا في السنّة قدم بيت المقدس وأعطى به قوما شيئا وداروا به تلك الأماكن.

42- بشر بن الحارث الحافي أحد رجال الطريقة من كبار الصالحين وأعيان الأتقياء المتورعين.

43- ذو النون المصري أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم الصالح المشهور.

44- السري بن مغلس السقطي: قدم بيت المقدس وروى عنه جماعة.

45- محمد بن كرام المتكلم الذي تنسب إليه الفرقة الكرامية أقام ببيت المقدس كان يجلس للوعظ عند العمود الذي عند مهد عيسى عليه السلام.

46- صالح بن يوسف ابو شعيب المقنع.

47- بكر بن سهل الدمياطي المحدث قدم بيت المقدس ويقال أنه جمع له ألف دينار حتى روى لهم التفسير.

48- أحمد بن يحي البراز البغدادي قدم من مكة إلى بيت المقدس.

49- الشيخ سلامه بن إسماعيل بن جماعة المقدسي الضرير صاحب كتاب شرح المفتاح لابن القاص.

50- شيخ الإسلام الإمام العالم الحبر أبو الفرج عبد الواحد بن أحمد بن محمد بن علي بن أحمد الشيرازي ثم المقدسي الأنصاري الحنبلي شيخ الشام في وقته، قدم الشام فسكن بيت المقدس وهو الذي نشر مذهب الإمام أحمد رضي الله عنه.

51- الشيخ العلامة أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي النابلسي الشافعي شيخ المذهب بالشام صاحب التصانيف مع الزهد والعبادة أقام بالقدس مدة طويلة بالزاوية التي على باب الرحمة.

52- الفقية ابو الفضل عطاء شيخ الشافعية بالقدس الشريف علما وفقها.

53- الشيخ الإمام أبو المعالي المشرف بن المرجا بن إبراهيم المقدسي كان من علماء بيت المقدس، له كتاب فضال بيت المقدس والصخرة.

54- الشيخ أبو القاسم مكي بن عبد السلام بن الحسين بن القاسم الأنصاري الرميلي الشافعي الحافظ، كان ورعا بالقدس وبلاد كثيرة وشرع في تأريخ بيت المقدس وفضائله.

55- أبو القاسم عبد الجبار بن أحمد بن يوسف الرازي الشافعي، انتقل إلى بيت المقدس بعد أن تفقه في بغداد وأصفهان.

56- الإمام الغزالي (زين الدين حجة الإسلام) أبو حامد محمد بن حامد بن أحمد الغزالي الطوسي الشافعي انتقل إلى بيت المقدس وأخذ بالتصانيف المشهورة.

57- القاضي محمد بن حسن بن موسى بن عبد الله البلاشا عوني التركي الحنفي ويعرف بالأشتلي الجامع بين الذكاء والحفظ وحسن التصنيف وجودة الخط ولد ببيت المقدس وكان من المشهورين بالحفظ والمعرفة بعلوم الحديث وله تصانيف كثيرة.

58- أبو الغنائم محمد بن علي بن ميمون القرشي الكوفي الحافظ كان دينا خبيرا ثقة رحل إلى الشام وسمع الحديث ببيت المقدس.

59- أبو روح ياسين بن سهل القابسي الخشاب.

60- أبو الفتح سلطان بن إبراهيم بن المسلم المقدسي الفقيه الشافعي صاحب الذخائر ولد بالقدس وتفقه بها.

61- الطرطوشي الإمام أبي بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب القرشي الفهري الأندلسي المالكي قدم بيت المقدس، كان إماما عالما زاهدا.

62- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحي الأموي العثماني المقدسي النابلسي، نزل بغداد وتفقه على يدي الشيخ نصر المقدسي. كان يفتي ويدرس.

63- أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي العثماني المشهور بالديباجي أمه فاطمه بنت الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، أصله من مكة ،أقام ببيت المقدس وكان يكتب الأحاديث فيها.

64- أبو الحسن علي بن احمد بن عبد الله الربعي المقدسي الشافعي.

65- أبو علي الحسن بن فرج بن حاتم المقدسي.

66- الإمام أبو بكر بن العربي محمد بن عبد الله المغربي المعا فري الأندلسي الإشبيلي الحافظ المشهور، قدم بيت المقدس وروى عنه خلق كثير من العلماء.

67- أبو بكر الجرجاني محمد بن أحمد بن أبي بكر من أهل جرجان قصد بيت المقدس، كان شيخا صالحا قيما بكتاب الله دائم البكاء كثير الحزن.

68- تاج الإسلام (أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني الشافعي صاحب كتاب الذيل لتاريخ مدينة السلام عدة مجلدات.

69- إدريس بن أبي خوله الأنطاكي

70- عبد العزيز المقدسي وكان رجلا صالحا.[1]

(1) الحنبلي، الأنس الجليل، ج1، سبق ذكره، ص 302.

هذا ذكر لأسماء ثلة من التابعين الذين سكنوا أو زاروا بيت المقدس بالإضافة إلى الصحابة الكرام الذين سبقوهم والخلفاء والقادة المسلمين من الرعيل الأول والذين تشرفوا بالإقامة في هذه الديار المقدسة.

هذه ميزة امتازت بها بيت المقدس عن غيرها من ديار الإسلام التي فتحت إبان انتشار الدعوة الإسلامية، إذن فماذا يعني أن هذه المدينة امتازت بهذه الكرامة لولا قيمتها في العقيدة الإسلامية وأثرها في نفوس المسلمين.وهذا رد على أولئك الذين يتشدقون عن بيت المقدس ويزعمون أن المسلمين لم يولوها ذلك الاهتمام أو يتخذوا منها عاصمة لهم في مراحل الفتوحات الإسلامية، مما لا شك فيه بأن بيت المقدس كانت وما زالت هي العاصمة الروحية لأمة الإسلام صنوها كمكة المكرمة والمدينة المنورة وديار المسلمين عامة، وأنها تحظى بالتقدير والاحترام في نفوس المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ولها مركزية خاصة لما تتمتع به من خصوصية امتازت بها عن غيرها من المدن التي فتحها المسلمون.

المطلب الثالث: القدس في عهد الخليفة عثمان وعلي (رضي الله عنهما)

تم الفتح ألعمري لمدينة بيت المقدس ورتب (رضي الله عنه)الأمور في هذه المدينة وأصبحت خالية من الروم والبيزنطيين وعاشت الطوائف غير الإسلامية في هذه المدينة متمتعة بحقوقها الدينية وأعمالها ووظائفها لا تضييق على غير المسلمين لأن الإسلام كفل حرية العباد من أبناء الديانات غير الإسلام فعاش الناس في طمأنينة يؤدون ما عليهم ويأخذون ما لهم حيث وفرت لهم الحكومة الإسلامية جميع وسائل الحياة مقابل دفع الجزية عن أنفسهم وأموالهم وعلى ألا يشتركوا في الجهاد مع المسلمين، وكانت تدار أمور بيت المقدس كغيرها من ديار الإسلام من الحكومة المركزية في المدينة المنورة.

أما في عهد الخليفتين الراشدين عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب (رضي الله عنهما) فقد استمرت الحياة على نسقها من التقدم والعمران وزيادة دور العلم والتوسع في دور العبادة وانتشار الإسلام وغير ذلك من حياة المسلمين الهانئة الوادعة. ووقف عثمان بن عفان عين سلوان (قرب القدس) على أهل المدينة، وكانت هذه بداية أوقاف إسلامية غنية على بيت المقدس على مدى القرون.